تفسير سورة لقمان

قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ:

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

﴿الٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾
ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ
هُدًى مِّن رَّبِّهِمْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ
ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ
مُّهِينٌ ﴿٦﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ
وَقْرًاۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتُ
ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّاۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَاۖ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍۚ
وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ
فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾﴾
[لقمان: ١-١١].

س: اذكر معنى ما يلي:

﴿ٱلْكِتَٰبِ - ٱلْحَكِيمِ - هُدًى - لِّلْمُحْسِنِينَ - يُوقِنُونَ - ٱلْمُفْلِحُونَ - يَشْتَرِى - لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ - لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ - هُزُوًا - مُّهِينٌ - وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا - وَقْرًا - رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ - وَبَثَّ فِيهَا - كَرِيمٍ - ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾؟

ج:

الكلمة	معناها
﴿ٱلْكِتَٰبِ﴾	القرآن
﴿ٱلْحَكِيمِ﴾	المحكم (لا خلل فيه ولا تناقض) الذي يدعو إلى كل خير وينهى عن كل شرٍّ – ذو الحكمة – الحاكم
﴿هُدًى﴾	بيانٌ ودلالة على طريق الحق – سبب توفيق
﴿لِّلْمُحْسِنِينَ﴾	للذين أحسنوا في العمل، وهم أيضًا الذين يراقبون الله ويخشونه
﴿يُوقِنُونَ﴾	يصدقون تمام التصديق
﴿ٱلْمُفْلِحُونَ﴾	الفائزون بالمطلوب والناجون من المرهوب
﴿يَشْتَرِى﴾	يشتري (من الشراء المعهود المعروف وكانوا يشترون المُغنيات) وقيل: يختار
﴿لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ﴾	الحديث المُلهي (عن ذكر الله)
﴿لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾	ليصرف الناس عن طريق الله
﴿هُزُوًا﴾	استهزاءً وسخريةً

﴿مُّهِينٌ﴾	مُذلٌّ ومُخزٍ
﴿وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا﴾	انصرف مُعرضًا مُتعاليًا
﴿وَقْرًا﴾	صممًا – ثقلًا
﴿رَوَاسِيَ﴾	جبالًا لإرسائها
﴿أَن تَمِيدَ﴾	لئلا تميل
﴿وَبَثَّ فِيهَا﴾	فرَّق ونشر
﴿كَرِيمٍ﴾	حسن
﴿ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾	ذهاب عن الحق ظاهر – ذهاب عن الحق في طريق مظهر لمن تأمله أن سالكه ضال

❀ ❀ ❀

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ۝٣ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٥﴾.

ج: المعنى إجمالًا – والله أعلم –: ﴿الٓمٓ﴾ هذه التي ستتلى عليك آيات الكتاب الحكيم القرآن الداعي إلى كل خير، الناهي عن كل شرٍّ، المحكم الذي لا تناقض فيه ولا خلل ولا اختلاف ولا تعارض، أنزلناها عليك يا رسول الله هداية ودلالة على طريق الحق لمن أراد سلوكه من أهل الإحسان أهل المراقبة والخشية، أهل العلم الصالح، أنزلناها عليك يا رسول الله رحمة من الله بهم، بهؤلاء الذين يقيمون الصلاة ويؤدونها على الوجه الذي يريده الله منهم، وفي الوقت الذي أمرهم فيه بإقامتها، وكذلك يؤدون الزكوات التي

أوجبها الله عليهم طيبةً بذلك نفوسهم مطمئنةً بذلك قلوبهم، فهم أهل اليقين والتصديق بوعد الله ووعيده وبلقائه وثوابه وعقابه، فهؤلاء على طريق الحق والهداية، طريق الجنة سائرون بتوفيق من الله لهم وإعانة على سلوك هذا الطريق، فأولئك هم الفائزون بالمطلوب، الناجون من المرهوب، وأعظم مطلوب لهم الجنة) وأعظم مرهوبٍ يرهبونه النار - والعياذ بالله.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴾ يقول جل ثناؤه: هذه آيات الكتاب الحكيم بيانًا وتفصيلًا. وقوله: ﴿ هُدًى وَرَحْمَةً ﴾ يقول: هذه آيات الكتاب بيانا ورحمة من الله، رحم به من اتبعه، وعمل به من خلقه.

وقوله: ﴿لِّلْمُحْسِنِينَ﴾ وهم الذين أحسنوا في العمل بما أنزل الله في هذا القرآن، يقول تعالى ذكره: هذا الكتاب الحكيم هدى ورحمة للذين أحسنوا، فعملوا بما فيه من أمر الله ونهيه ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ يقول: الذين يقيمون الصَّلاةَ المفروضة بحدودها ﴿وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ مَنْ جعلها الله له المفروضة في أموالهم ﴿وَهُم بِٱلْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ يقول: يفعلون ذلك وهم بجزاء الله وثوابه لمن فعل ذلك في الآخرة يوقنون.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: هؤلاء الذين وصفت صفتهم على بيان من ربهم ونور ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ يقول: وهؤلاء هم المنْجِحون المدركون ما رَجَوا وأملوا من ثواب ربهم يوم القيامة.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

تقدم في أول سورة «البقرة» عامة الكلام على ما يتعلق بصدر هذه السورة،

وهو أنه تعالى جعل هذا القرآن هُدًى وشفاء ورحمة للمحسنين، وهم الذين أحسنوا العمل في اتباع الشريعة، فأقاموا الصلاة المفروضة بحدودها وأوقاتها، وما يتبعها من نوافل راتبة وغير راتبة، وآتوا الزكاة المفروضة عليهم إلى مستحقيها، ووصلوا قراباتهم وأرحامهم، وأيقنوا بالجزاء في الدار الآخرة، فرغبوا إلى الله في ثواب ذلك، لم يراؤوا به ولا أرادوا جزاءً من الناس ولا شكورا، فَمَنْ فعل ذلك كذلك فهو من الذين قال الله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ ﴾ أي: على بصيرة وبينة ومنهج واضح وجلي، ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾ أي: في الدنيا والآخرة.

قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يشير تعالى إشارة دالة على التعظيم إلى ﴿ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ ﴾ أي: إن آياته محكمة، صدرت من حكيم خبير.

ومن أحكامها: أنها جاءت بأجل الألفاظ وأفصحها وأبينها، الدالة على أجل المعاني وأحسنها.

ومن أحكامها: أنها محفوظة من التغيير والتبديل، والزيادة والنقص، والتحريف.

ومن أحكامها: أن جميع ما فيها من الأخبار السابقة واللاحقة والأمور الغيبية كلها مطابقة للواقع، مطابق لها الواقع، لم يخالفها كتاب من الكتب الإلهية، ولم يخبر بخلافها نبي من الأنبياء، ولم يأت، ولن يأت علم محسوس ولا معقول صحيح يناقض ما دلت عليه.

ومن أحكامها: أنها ما أمرت بشيء، إلا هو خالص المصلحة، أو راجحها.

ولا نهت عن شيء، إلا وهو خالص المفسدة، أو راجحها.

وكثيرًا ما يجمع بين الأمر بالشيء، مع ذكر حكمته وفائدته، والنهي عن الشيء، مع ذكر مضرته.

ومن أحكامها: أنها جمعت بين الترغيب والترهيب، والوعظ البليغ الذي تعتدل به النفوس الخيرة وتحتكم فتعمل بالحزم.

ومن أحكامها: أنك تجد آياتها المتكررة، كالقصص والأحكام ونحوها قد اتفقت كلها وتواطأت، فليس فيها تناقض ولا اختلاف.

فكلما ازداد بها البصير تدبرًا وأعمل فيها العقل تفكرًا انبهر عقله، وذهل لبه من التوافق والتواطؤ، وجزم جزمًا لا يمترى فيه أنه تنزيل من حكيم حميد.

ولكن – مع أنه حكيم – يدعو إلى كل خُلُق كريم، وينهى عن كل خُلُق لئيم.

❋ ❋ ❋

مبحث في الغناء

س: ما المراد بلهو الحديث؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها وأشهرها: أن المراد بلهو الحديث الغناء.

الثاني: أن المراد بلهو الحديث الطبل.

الثالث: أن المراد بلهو الحديث الشرك.

أما عن أقوال العلماء بشيء من التفصيل.

فقد ورد عند الطبري وغيره من طريق أبي الصهباء البكري[1] أنه سمع عبد

(١) لكن في إسناده أبو الصهباء البكري، وحديثه لا يرتقي للتحسين.

الله بن مسعود وهو يسأل عن هذه الآية: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ فقال عبد الله: الغناء، والذي لا إله إلا هو، يردّدها ثلاث مرّات.

وأخرج الطبري وغيره: من وجوهٍ متعددة عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ ﴾ قال: الغناء.

وهو صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وأخرج الطبري أيضًا من طريق: حدثنا الحسن بن عبد الرحيم، قال: ثنا عبيد الله بن موسى، قال: ثنا سفيان، عن قابوس بن أبي ظبيان، عن أبيه، عن جابر في قوله: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ ﴾ قال: هو الغناء والاستماع له.

وأورد الطبري أيضًا: بأسانيد تصح عن مجاهد أنه قال: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ ﴾ قال: الغناء، وفي بعض الروايات عن مجاهد الغناء وكل لهوٍ باطل أو الاستماع إليه.

وبأسانيد تصح عن عكرمة قال: الغناء.

وأورد الطبري بإسنادٍ صحيح عن ابن زيد: في قوله: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ﴾ قال: هؤلاء أهل الكفر، ألا ترى إلى قوله: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ﴾ فليس هكذا أهل الإسلام، قال: وناس يقولون: هي فيكم وليس كذلك، قال: وهو الحديث الباطل الذي كانوا يلغون فيه.

قال الطبري رحمه الله:

والصواب من القول في ذلك أن يقال: عني به كلّ ما كان من الحديث ملهيًا

عن سبيل الله مما نهى الله عن استماعه أو رسوله؛ لأن الله تعالى عمّ بقوله: ﴿لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ﴾ ولم يخصص بعضًا دون بعض، فذلك على عمومه حتى يأتي ما يدلّ على خصوصه، والغناء والشرك من ذلك.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لما ذكر تعالى حال السعداء، وهم الذين يهتدون بكتاب الله وينتفعون بسماعه، كما قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ ٢٣﴾ [الزمر: ٢٣]، عطف بذكر حال الأشقياء، الذين أعرضوا عن الانتفاع بسماع كلام الله، وأقبلوا على استماع المزامير والغناء بالألحان وآلات الطرب.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قلت: هذه إحدى الآيات الثلاث التي استدل بها العلماء على كراهة الغناء والمنع منه.

والآية الثانية قوله تعالى: ﴿وَأَنتُمۡ سَٰمِدُونَ﴾ [النجم: ٦١] قال ابن عباس: هو الغناء بالحميرية اسمدي لنا أي غني لنا.

والآية الثالثة قوله تعالى: ﴿ وَٱسۡتَفۡزِزۡ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتَ مِنۡهُم بِصَوۡتِكَ ﴾ [الإسراء: ٦٤].

وأخرج الطبري بإسناد صحيح عن ابن عباس في قوله: ﴿وَأَنتُمۡ سَٰمِدُونَ﴾ قال: هي يمانية: اسمد تغن لنا.

❁ ❁ ❁

س: ما المراد بقوله تعالى: ﴿يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ﴾؟

ج: لأهل العلم في ذلك قولان:

أولهما: يشتري المغنيات (الجواري) كي يغنين.

الثاني: يختار من الحديث ما هو لهو وباطل.

قلت: ويلتحق بالأول شراء آلات اللهو والطرب.

اختلف أهل التأويل، في تأويل قوله: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ ﴾ فقال بعضهم: من يشتري الشراء المعروف بالثمن، ورووا بذلك خبراً عن رسول الله ﷺ.

قلت: وأورد الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ من طريق: عبيد الله بن زَحْر، عن عليّ بن يزيد، عن القاسم، عن أبي أُمامة، قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يحِلُّ بَيْعُ المُغَنِّيَاتِ، وَلا شِرَاؤُهُنَّ، وَلا التِّجارَةُ فِيهِنَّ، وَلا أَثْمَانُهُنَّ**، وفيهنّ نزلت هذه الآية: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ ﴾».

قلت (مصطفى): وهذا سند ضعيف جدًّا.

وقال الطبري: وقال آخرون: بل معنى ذلك: من يختار لهو الحديث ويستحبه، وأورد بسندٍ حسن عن قَتادة قوله: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ ﴾ والله لعله أن لا ينفق فيه مالًا، ولكن اشتراؤه استحبابه، بحسب المرء من الضلالة أن يختار حديث الباطل على حديث الحقّ، وما يضرّ على ما ينفع.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾؟

ج: المعنى: ليصرف الناس عن طريق الله ﷻ تلك الطريق الموصل إلى جنته ومرضاته.

وقيل: إن اللام هنا لام العاقبة، بمعنى أنه يشتري لهو الحديث فينصرف الناس عن طريق الله، فبصنيعه ينصرف الناس عن طريق الله.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ يقول: ليصدّ ذلك الذي يشتري من لهو الحديث عن دين الله وطاعته، وما يقرّب إليه من قراءة قرآن وذكر الله.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي: إنما يصنع هذا للتخالف للإسلام وأهله.

وعلى قراءة فتح الياء، تكون اللام لام العاقبة، أو تعليلًا للأمر القدري، أي: قُيضوا لذلك ليكونوا كذلك.

❁ ❁ ❁

س: قوله تعالى: ﴿بِغَيۡرِ عِلۡمٍ﴾ بغير علم بماذا؟

ج: بغير علم بعقوبته التي سيعاقب بها.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿بِغَيۡرِ عِلۡمٍ﴾ يقول: فعل ما فعل من اشترائه لهو الحديث جهلًا منه بما له في العاقبة عند الله من وزر ذلك وإثمه.

❁ ❁ ❁

س: قوله تعالى: ﴿وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًاۚ﴾ يتخذ ماذا؟

ج: قيل يتخذ طريق الله هزوًا، أي: ويتخذ سبيل الله هزوا، أي: استهزاء وسخرية فإذا دعاه أحد إلى طريق الله سخر منه ومنها، وقيل: ويتخذ آيات الله هزوًا.

وأورد الطبري بإسناد حسن عن قتادة: قال: بِحَسْب المرء من الضلالة أن

يختار حديث الباطل على حديث الحقّ، وما يضرّ على ما ينفع، ويتخذها هزوًا يستهزئ بها ويكذّب بها. وهما من أن يكونا من ذكر سبيل الله أشبه عندي لقربهما منها، وإن كان القول الآخر غير بعيد من الصواب، واتخاذه ذلك هزوا هو استهزاؤه به.

❀ ❀ ❀

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ﴾.

ج: هؤلاء الذين اشتروا لهو الحديث ليضلوا عن سبيل الله، واتخذوها هزوًا لهم يوم القيامة عذاب مذلٌّ مُخزٍ مهين.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ﴾ يقول تعالى ذكره: هؤلاء الذين وصفنا أنهم يشترون لهو الحديث ليضلوا عن سبيل الله لهم يوم القيامة عذاب مُذِلّ مخزٍ في نار جهنم.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله تعالى: ﴿لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ﴾ أي: كما استهانوا بآيات الله وسبيله، أهينوا يوم القيامة في العذاب الدائم المستمر.

❀ ❀ ❀

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسۡتَكۡبِرٗا كَأَن لَّمۡ يَسۡمَعۡهَا كَأَنَّ فِيٓ أُذُنَيۡهِ وَقۡرٗاۖ فَبَشِّرۡهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ۝٧﴾.

ج: المعنى -والله أعلم-: وإذا تتلى على هذا الذي اشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله، إذا تتلى عليه آياتنا أدبر متعاليًا عليها رافضًا لها مستكبرًا عن قبولها كأنه لم يسمع شيئًا، بل وكأن في أذنيه صممًا وثقلًا، فأخبر هذا

المتولي المُعرض بأنه قد أُعد له أليم العذاب وشديد العقاب.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: وإذا تُتلى على هذا الذي اشترى لهو الحديث للإضلال عن سبيل الله آيات كتاب الله، فقرئت عليه ﴿وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا﴾ يقول: أدبر عنها، واستكبر استكبارًا، وأعرض عن سماع الحقّ والإجابة عنه ﴿كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِيٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا﴾ يقول: ثقلاً فلا يطيق من أجله سماعه.

وقوله: ﴿فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ يقول تعالى ذكره: فبشر هذا المعرض عن آيات الله إذا تُليت عليه استكبارًا بعذاب له من الله يوم القيامة مُوجِع، وذلك عذاب النار.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا﴾ يعني القرآن ولَّي أي أعرض ﴿مُسْتَكْبِرًا﴾ نصب على الحال ﴿كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِيٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا﴾ ثقلا وصمما.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم قال تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِيٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا﴾ أي: هذا المقبل على اللهو واللعب والطرب، إذا تليت عليه الآيات القرآنية، ولَّى عنها وأعرض وأدبر وتَصامّ وما به من صَمَم، كأنه ما يسمعها؛ لأنه يتأذى بسماعها؛ إذ لا انتفاع له بها، ولا أرَبَ له فيها، ﴿فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ أي: يوم القيامة يؤلمه، كما تألم بسماع كتاب الله وآياته.

❁ ❁ ❁

بعض الوارد في الغناء والمعازف

س: هل المعازف حلال أم حرام؟

ج: الظاهر - والله تعالى أعلم - أن المعازف محرمة وذلك لما أخرجه البخاري[(١)] في صحيحه إذ قال: وَقَالَ هِشَامُ بْنُ عَمَّارٍ[(٢)]: حَدَّثَنَا صَدَقَةُ بْنُ خَالِدٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ يَزِيدَ بْنِ جَابِرٍ حَدَّثَنَا عَطِيَّةُ بْنُ قَيْسٍ الْكِلَابِيُّ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ غَنْمٍ الْأَشْعَرِيُّ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو عَامِرٍ - أَوْ أَبُو مَالِكٍ الْأَشْعَرِيُّ - وَاللهِ مَا كَذَبَنِي سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «لَيَكُونَنَّ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ يَسْتَحِلُّونَ[(٣)] الْحِرَ[(٤)]، وَالْحَرِيرَ، وَالْخَمْرَ، وَالْمَعَازِفَ[(٥)]، وَلَيَنْزِلَنَّ أَقْوَامٌ إِلَى جَنْبِ عَلَمٍ[(٦)] يَرُوحُ عَلَيْهِمْ[(٧)] بِسَارِحَةٍ[(٨)] لَهُمْ، يَأْتِيهِمْ - يَعْنِي - الْفَقِيرَ - لِحَاجَةٍ فَيَقُولُوا: ارْجِعْ إِلَيْنَا غَدًا فَيُبَيِّتُهُمُ[(٩)] اللهُ وَيَضَعُ[(١)] الْعَلَمَ، وَيَمْسَخُ آخَرِينَ قِرَدَةً وَخَنَازِيرَ إِلَى

(١) البخاري (مع الفتح ١٠/ ٥١)، وهو معلق كما ترى.

(٢) صورته صورة المعلق، لكن أشار الحافظ ابن حجر إلى من وصله في («الفتح» ١٠/ ٥٣)، وفي («تغليق التعليق» ٥/ ١٧)، فما بعدها، وفي («هدي الساري» ص ٥٩).

(٣) قال الحافظ في («الفتح» ١٠/ ٥٥): قوله: «يستحلون» قال ابن العربي: يحتمل أن يكون المعنى: يعتقدون ذلك حلالًا، ويحتمل أن يكون ذلك مجازًا على الاسترسال أي: يسترسلون في شربها كالاسترسال في الحلال، وقد سمعنا ورأينا من يفعل ذلك.

(٤) الحِرَ: قال الحافظ: ضبطه ابن نصر بالحاء المهملة المكسورة والراء الخفيفة وهو الفرج، ثم نقل معنى ذلك فقال: والمعنى يستحلون الزنا.

(٥) قال الحافظ: والمعازف بالعين المهملة والزاي بعدها فاء جمع معزفة بفتح الزاي وهي آلات الملاهي، ونقل القرطبي عن الجوهري أن المعازف: الغناء، والذي في «صحاحه» أنها آلات اللهو، وقيل: أصوات الملاهي، وفي «حواشي الدمياطي»: المعازف: الدفوف وغيرها مما يضرب به، ويطلق على الغناء عزف وعلى كل لعب عزف.

(٦) العلم: هو الجبل العالي، ومنه قول الله تعالى: ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾ [الرحمن: ٢٤]، وقيل: هو رأس الجبل وله وجه.

(٧) يروح عليهم: أي: الراعي.

(٨) السارحة هي: الماشية.

(٩) يبيتهم: أي: يهلكهم ليلًا، ومنه قول الله تعالى: ﴿وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ

يَوْمِ الْقِيَامَةِ».

❁ ❁ ❁

قَآئِلُونَ﴾ [الأعراف: ٤].

(١) أي: يوقع الجبل عليهم.

شيء من التفصيل في شأن الغناء

س: هل الغناء كله حرام؟

ج: ليس الغناء بمحرمٍ كله، بل منه المباح ومنه المكروه، ومنه المُحرم، وغير ذلك.

فالمُحرم منه ما كان فيه تحريض على الفاحشة والفسق والفجور، وما كان فيه معصية لله أو شرك به، وما كان فيه فسادٌ بصفة عامة؛ إذ الله قال: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ﴾ [البقرة: ٢٠٥] أو ما كان مصحوبًا بمعازف.

أما المباح منه فما كان في مناسبات، وكانت كلماته تحمل معاني طيبة ولم يكن عادة.

أما المكروه منه فما كان لا يحمل شيئًا مُحرَّمًا ولكن يشغل عما هو أفضل.

أما المستحب منه فما كان فيه تشجيع على عمل البر وعلى طرائق الإحسان، والله أعلم.

وينبغي أن يقيد بما لا يكون عادة، ولا يكثر منه حتى لا يطغى على كتاب الله ﷻ.

❁ ❁ ❁

س: اذكر بعض الوارد في الغناء المباح؟

ج: من ذلك ما يلي:

ما أخرجه البخاري ومسلم[1] من حديث:

عائشة رضي الله عنها قالت: دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَعِنْدِي جَارِيَتَانِ تُغَنِّيَانِ[1]

(١) البخاري (مع الفتح ٢/ ٤٤٠)، ومسلم (٨٩٢).

بِغِنَاءِ بُعَاثَ[٢]، فَاضْطَجَعَ عَلَى الْفِرَاشِ وَحَوَّلَ وَجْهَهُ، وَدَخَلَ أَبُو بَكْرٍ فَانْتَهَرَنِي

---

(١) في بعض روايات البخاري (٢/ ٤٤٥)، ومسلم (٨٩٢) زيادة: وليستا بمغنيتين.

(٢) قال النووي رَحِمَهُ اللهُ (٢/ ٥٤٤): وَقَوْلهَا: (وَلَيْسَتَا بِمُغَنِّيَتَيْنِ) مَعْنَاهُ : لَيْسَ الْغِنَاء عَادَة لَهُمَا ، وَلَا هُمَا مَعْرُوفَتَانِ بِهِ . وَاخْتَلَفَ الْعُلَمَاء فِي الْغِنَاء فَأَبَاحَهُ جَمَاعَة مِنْ أَهْل الْحِجَاز وَهِيَ رِوَايَة عَنْ مَالِك ، وَحَرَّمَهُ أَبُو حَنِيفَة وَأَهْل الْعِرَاق ، وَمَذْهَب الشَّافِعِيّ كَرَاهَته وَهُوَ الْمَشْهُور مِنْ مَذْهَب مَالِك ، وَاحْتَجَّ الْمُجَوِّزُونَ بِهَذَا الْحَدِيث وَأَجَابَ الْآخَرُونَ بِأَنَّ هَذَا الْغِنَاء إِنَّمَا كَانَ فِي الشَّجَاعَة وَالْقَتْل وَالْحِذْق فِي الْقِتَال وَنَحْو ذَلِكَ ، مِمَّا لَا مَفْسَدَة فِيهِ ، بِخِلَافِ الْغِنَاء الْمُشْتَمِل عَلَى مَا يَهِيج النُّفُوس عَلَى الشَّرّ ، وَيَحْمِلهَا عَلَى الْبَطَالَة وَالْقَبِيح. قَالَ الْقَاضِي : إِنَّمَا كَانَ غِنَاؤُهُمَا بِمَا هُوَ مِنْ أَشْعَار الْحَرْب وَالْمُفَاخَرَة بِالشَّجَاعَةِ وَالظُّهُور وَالْغَلَبَة ، وَهَذَا لَا يُهَيِّج الْجَوَارِي عَلَى شَرٍّ وَلَا إِنْشَادهمَا لِذَلِكَ مِنَ الْغِنَاء الْمُخْتَلف فِيهِ ، وَإِنَّمَا هُوَ رَفع الصَّوْت بِالْإِنْشَادِ ، وَلِهَذَا قَالَتْ : وَلَيْسَتَا بِمُغَنِّيَتَيْنِ أَيْ: لَيْسَتَا مِمَّنْ يَتَغَنَّى بِعَادَةِ الْمُغَنِّيَات مِنْ التَّشْوِيق وَالْهَوَى وَالتَّعْرِيض بِالْفَوَاحِشِ وَالتَّشْبِيب بِأَهْل الْجَمَال وَمَا يُحَرِّك النُّفُوس وَيَبْعَث الْهَوَى وَالْغَزْل كَمَا قِيلَ: (الْغِنَاء رُقْيَة الزِّنَا) وَلَيْسَتَا أَيْضًا مِمَّنِ اشْتُهِرَ وَعُرِفَ بِإِحْسَانِ الْغِنَاء الَّذِي فِيهِ تَمْطِيط وَتَكْسِير وَعَمَل يُحَرِّك السَّاكِن وَيَبْعَث الْكَامِن ، وَلَا مِمَّنِ اتَّخَذَ ذَلِكَ صَنْعَة وَكَسْبًا، وَالْعَرَب تُسَمِّي الْإِنْشَاد غِنَاء، وَلَيْسَ هُوَ مِنْ الْغِنَاء الْمُخْتَلَف فِيهِ بَلْ هُوَ مُبَاح، وَقَدِ اسْتَجَازَتْ الصَّحَابَة غِنَاء الْعَرَب الَّذِي هُوَ مُجَرَّد الْإِنْشَاد وَالتَّرَنُّم، وَأَجَازُوا الْحُدَاء وَفَعَلُوهُ بِحَضْرَةِ النَّبِيِّ ﷺ وَفِي هَذَا كُلِّه إِبَاحَة مِثْل هَذَا وَمَا فِي مَعْنَاهُ وَهَذَا وَمِثْله لَيْسَ بِحَرَامٍ وَلَا يَخْرُج الشَّاهِد.

وقال ابن القيم في «إغاثة اللهفان» (كما نقل عنه صاحب «العون» (١٣/ ٢٦٥) كلامًا قيِّمًا في شرح الحديث قال رَحِمَهُ اللهُ: فَلَمْ يُنْكِر رَسُول الله ﷺ عَلَى أَبِي بَكْر تَسْمِيَة الْغِنَاء مِزْمَار الشَّيْطَان وَأَقَرَّهُمَا لِأَنَّهُمَا جَارِيَتَانِ غَيْر مُكَلَّفَتَيْنِ تُغَنِّيَانِ بِغِنَاءِ الْأَعْرَاب الَّذِي قِيلَ فِي يَوْم حَرْب بُعَاث مِنَ الشَّجَاعَة وَالْحَرْب، وَكَانَ الْيَوْم يَوْم عِيد فَتَوَسَّعَ حِزْب الشَّيْطَان فِي ذَلِكَ إِلَى صَوْت امْرَأَة أَجْنَبِيَّة أَوْ صَبِيٍّ أَمْرَد صَوْته وَصُورَته فِتْنَة يُغَنِّي بِمَا يَدْعُو إِلَى الزِّنَا وَالْفُجُور وَشُرْب الْخُمُور مِنْ آلَات اللَّهْو الَّتِي حَرَّمَهَا رَسُول الله ﷺ فِي عِدَّة أَحَادِيث مَعَ التَّصْفِيق وَالرَّقْص وَتِلْكَ الْهَيْئَة الْمُنْكَرَة الَّتِي لَا يَسْتَحِلّهَا أَحَد، وَيَحْتَجُّونَ بِغِنَاءِ جُوَيْرِيَّتَيْنِ غَيْر مُكَلَّفَتَيْنِ بِغَيْرِ شَبَّابَة وَلَا دُفٍّ وَلَا رَقْص وَلَا تَصْفِيق وَيَدَعُونَ الْمُحْكَم الصَّرِيح لِهَذَا الْمُتَشَابِه وَهَذَا شَأْن كُلّ مُبْطِل. نَعَمْ لَا نُحَرِّم وَلَا نُكَرِّه مِثْل مَا كَانَ فِي بَيْت رَسُول الله ﷺ عَلَى ذَلِكَ الْوَجْه وَإِنَّمَا نُحَرِّم نَحْنُ وَأَهْل الْعِلْم السَّمَاع الْمُخَالِف لِذَلِكَ انْتَهَى.

يوم بعاث: هو يوم مشهور من أيام العرب كانت فيه مقتلة عظيمة للأوس على الخزرج، قاله الخطابي، وغيره.

وَقَالَ: مِزْمَارَةُ الشَّيْطَانِ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «**دَعْهُمَا**»، فَلَمَّا غَفَلَ غَمَزْتُهُمَا فَخَرَجَتَا، وَكَانَ يَوْمَ عِيدٍ يَلْعَبُ السُّودَانُ بِالدَّرَقِ وَالْحِرَابِ، فَإِمَّا سَأَلْتِ النَّبِيَّ ﷺ وَإِمَّا قَالَ: «**تَشْتَهِينَ تَنْظُرِينَ؟**»[١] فَقُلْتُ: نَعَمْ، فَأَقَامَنِي وَرَاءَهُ: خَدِّي عَلَى خَدِّهِ وَهُوَ يَقُولُ: «**دُونَكُمْ يَا بَنِي أَرْفِدَةَ**» حَتَّى إِذَا مَلِلْتُ قَالَ: «**حَسْبُكِ؟**» قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: «**فَاذْهَبِي**».

ومن ذلك ما أخرجه ابن ماجه[٢] بسندٍ حسن من حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَرَّ بِبَعْضِ الْمَدِينَةِ فَإِذَا هُوَ بِجَوَارٍ يَضْرِبْنَ بِدُفِّهِنَّ وَيَتَغَنَّيْنَ وَيَقُلْنَ:

نَحْنُ جَوَارٍ مِنْ بَنِي النَّجَّارِ ... يَا حَبَّذَا مُحَمَّدٌ مِنْ جَارِ

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**اللهُ يَعْلَمُ إِنِّي لَأُحِبُّكُنَّ**».

ومن ذلك ما أخرجه[٣] البخاري من حديث الرُّبَيِّعُ بِنْتُ مُعَوِّذِ بْنِ عَفْرَاءَ: جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ فَدَخَلَ حِينَ بُنِيَ عَلَيَّ فَجَلَسَ عَلَى فِرَاشِي كَمَجْلِسِكَ مِنِّي[٤]

---

(١) عند النسائي في «السنن الكبرى» في عشرة النساء – كما عزاه إليه المزي –: «**يا حميراء أتحبين أن تنظري إليهم؟**» فقلت: نعم. قال الحافظ ابن حجر في («فتح الباري» ٢/ ٤٤٤): إسناده صحيح، ولم أر في حديث صحيح ذكر الحميراء إلا في هذا.

لفتة: قال الشافعي (كما نقل عنه البيهقي في «السنن الكبرى» ١٠/ ٢٢٣) في الرجل يغني فيتخذ الغناء صناعة يؤتى عليه ويأتي له ويكون منسوبًا إليه مشهورًا به معروفًا أو المرأة: لا تجوز شهادة واحد منهما؛ وذلك أنه من اللهو المكروه الذي يشبه الباطل، فإن من صنع هذا كان منسوبًا إلى السفه وسقاطة المروءة، ومن رضي هذا لنفسه كان مستخفًّا، وإن لم يكن محرمًا بيِّن التحريم.

قلت: قوله: وإن لم يكن محرَّمًا بَيِّن التحريم، محمول على ما لا يثير الكامن، ويحرك الساكن، ويدعو إلى الفحش والفجور والزنا، فإن ذلك محرم لا شك فيه، فالله لا يحب الفساد.

(٢) ابن ماجه (١٨٩٩).

(٣) البخاري (مع الفتح ٩/ ٢٠٢).

(٤) قال الحافظ في الفتح (٩/ ٢٠٣): قوله: (كمجلسك) بكسر اللام أي: مكانك. قال الكرماني: هو محمول على أن ذلك كان من وراء حجاب، أو كان قبل نزول آية الحجاب، أو جاز النظر للحاجة،

فَجَعَلَتْ جُوَيْرِيَاتٌ لَنَا يَضْرِبْنَ بِالدُّفِّ وَيَنْدُبْنَ مَنْ قُتِلَ مِنْ آبَائِي يَوْمَ بَدْرٍ؛ إِذْ قَالَتْ إِحْدَاهُنَّ: وَفِينَا نَبِيٌّ يَعْلَمُ مَا فِي غَدٍ. فَقَالَ: «**دَعِي هَذِهِ وَقُولِي بِالَّذِي كُنْتِ تَقُولِينَ**».

وأخرج البخاري[(١)] من حديث عَائِشَةَ أَنَّهَا زَفَّتِ امْرَأَةً إِلَى رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ: «**يَا عَائِشَةُ مَا كَانَ مَعَكُمْ لَهْوٌ فَإِنَّ الْأَنْصَارَ يُعْجِبُهُمُ اللَّهْوُ**».

❁ ❁ ❁

س: اذكر مزيدًا من أقوال العلماء في الغناء.

ج: قال القرطبي رَحِمَهُ اللهُ:

وهو الغناء المعتاد عند المشتهرين به الذي يحرك النفوس ويبعثها على الهوى والغزل والمجون الذي يحرك الساكن ويبعث الكامن فهذا النوع إذا كان في شعر يشبب فيه بذكر النساء ووصف محاسنهن وذكر الخمور والمحرمات لا يختلف في تحريمه لأنه اللهو والغناء المذموم بالاتفاق فأما ما سلم من ذلك فيجوز القليل منه في أوقات الفرح كالعرس والعيد وعند التنشيط على الأعمال الشاقة كما كان في حفر الخندق وحدو أنجشة وسلمة ابن الأكوع فأما ما ابتدعته الصوفية اليوم من الإدمان على سماع المغاني بالآلات المطربة من الشبابات والطار والمعازف والأوتار فحرام. ابن العربي:

أو عند الأمن من الفتنة. اهـ. والأخير هو المعتمد، والذي وضح لنا بالأدلة القوية أن من خصائص النبي ﷺ جواز الخلوة بالأجنبية والنظر إليها، وهو الجواب الصحيح عن قصة أم حرام بنت ملحان في دخوله عليها ونومه عندها وتفليتها رأسه ولم يكن بينهما محرمية ولا زوجية. انتهى ما قاله الحافظ.

(١) (مع الفتح ٩/ ٢٢٥).

فأما طبل الحرب فلا حرج فيه لأنه يُقيم النفوس ويرهب العدوَّ وفي اليراعة تردد والدف مباح. الجوهري: وربما سموا قصبة الراعي التي يزمر بها هيرعة ويراعة. قال القشيري: ضرب بين يدي النبي ﷺ يوم دخل المدينة فهمَّ أبو بكر بالزجر فقال رسول الله ﷺ: «**دعهن يا أبا بكر حتى تعلم اليهود أن ديننا فسيح**» فكن يضربن ويقلن:

نحن بنات النجار حبذا محمد من جار

وقد قيل: إن الطبل في النكاح كالدف وكذلك الآلات المشهرة للنكاح يجوز استعمالها فيه بما يُحَسِّن من الكلام ولمن يكن فيه رفث.

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ:

قال القاضي أبو بكر بن العربي: أما سماع القنيات فيجوز للرجل أن يسمع غناء جاريته؛ إذ ليس شيء منها عليه حراما لا من ظاهرها ولا من باطنها فكيف يمنع من التلذذ بصوتها، أما أنه لا يجوز انكشاف النساء للرجال ولا هتك الأستار ولا سماع الرفث فإذا خرج ذلك إلى ما يحل ولا يجوز منع من أوله واجتث من أصله. وقال أبو الطيب الطبري: أما سماع الغناء من المرأة التي ليست بمحرم فإن أصحاب الشافعي قالوا: لا يجوز سواء كانت حرة أو مملوكة قال: وقال الشافعي وصاحب الجارية إذا جمع الناس لسماعها فهو سفيهٌ تُرَدُّ شهادته ثم غلظ القول فيه فقال: فهي دياثة وإنما جعل صاحبها سفيهًا؛ لأنه دعا الناس إلى الباطل ومن دعا الناس إلى الباطل كان سفيهًا.

وقال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ (٢/ ٤٤٥):

وَاسْتُدِلَّ بِهِ عَلَى جَوَازِ سَمَاع صَوْت اَلْجَارِيَةِ بِالْغِنَاءِ وَلَوْ لَمْ تَكُنْ مَمْلُوكَة لِأَنهُ ﷺ لَمْ يُنْكِرْ عَلَى أَبِي بَكْر سَمَاعَهُ بَلْ أَنْكَرَ إِنْكَاره، وَاسْتَمَرَّتَا إِلَى أَنْ

أَشَارَتْ إِلَيْهِمَا عَائِشَة بِالْخُرُوجِ . وَلَا يَخْفَى أَنَّ مَحَلّ الْجَوَاز مَا إِذَا أُمِنَتِ الْفِتْنَةُ بِذَلِكَ ، وَاَللَّهُ أَعْلَمُ .

❁ ❁ ❁

س: اذكر المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُولَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٦﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾ ﴾.

ج: هذا -والله أعلم- بيانٌ لحال أقوام كانوا في زمن رسول الله ﷺ وبيان لما كانوا يفعلون، فإنهم قومٌ كانوا يسعون جاهدين لصرف الناس عن الدين الحق، دين الإسلام، وذلك بشتى الطرق، ومنها أنهم يشترون لهو الحديث، يشترون المغنيات، الإماء، القيِّنات، آلات اللهو، كل ما يُلهى من الحديث عن ذِكر الله وعن طاعته وعن الإسلام، له يشترون المغنيات يُغنين حتى يصرفوا الناس عن القرآن، حتى يضلوا الناس عن طريق الحق والرشاد، وذلك جهلًا منهم بعاقبة العذاب المعدّ لهم يوم القيامة، وذلك أيضًا تعاميًا منهم عن الحق، ثم إنه يتخذ سبيل الله والدعوة إليها مجالًا للاستهزاء والسخرية وكذا يتخذ آيات الله مجالًا للاستهزاء والسخرية فأولئك لهم يوم القيامة عذابٌ مُذلٌّ مخزٍ، ثم إنه من شأن هؤلاء أيضًا أنهم إذا تليت عليهم آيات الله أعرضوا عنها مستكبرين وانصرفوا عنها متعالين عليها كأنهم لم يسمعونها، كأن آذانهم فيها صمم وثقل شديدين فبشره بأن له يوم القيامة أليم العذاب. والله أعلم.

❁ فعلى هذا فليس مجرد الغناء هو المسبب للعذاب المهين، ولا للعذاب الأليم ولا الكفر إنما اتخذ أهل الكفر الغناء سبيلًا لصرف الناس عن الحق وعن الهدى وعن الإيمان، وإلا فالغناء في شأنه تفصيل ولا بد، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ ۝٨ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٗاۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٩﴾؟

ج: المعنى – والله أعلم-: إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات ينعمون فيها لا يزول عنهم نعيمها بل هم في هذا النعيم مخلدون، وذلك تحقيقًا للوعد الذي وعدهم الله إياه في الدنيا، وهو سبحانه العزيز الذي لا يعجز عن شيء ولا عن تحقيق وعدٍ الحكيم فيما يشرع وفيما يُدبر وفيما يجازى وفي كل شيء.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بالله فوحّدوه، وصدّقوا رسوله واتبعوه ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ يقول: فأطاعوا الله، فعملوا بما أمرهم في كتابه وعلى لسان رسوله، وانتهوا عما نهاهم عنه ﴿لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ﴾ يقول: لهؤلاء بساتين النعيم ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ﴾ يقول: ماكثين فيها إلى غير نهاية ﴿وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٗاۚ﴾ يقول: وعدهم الله وعدًا حقًّا، لا شكّ فيه ولا خلف له ﴿وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ﴾ يقول: وهو الشديد في انتقامه من أهل الشرك به، والصادّين عن سبيله ﴿ٱلۡحَكِيمُ﴾ في تدبير خَلْقه.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هذا ذكر مآل الأبرار من السعداء في الدار الآخرة، الذين آمنوا بالله وصَدّقوا المرسلين، وعملوا الأعمال الصالحة المتابعة لشريعة الله ﴿لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ﴾ أي: يتنعمون فيها بأنواع الملاذ والمسارّ، من المآكل والمشارب، والملابس والمساكن، والمراكب والنساء، والنضرة والسماع الذي لم يخطر

ببال أحد، وهم في ذلك مقيمون دائما فيها، لا يظعنون، ولا يبغون عنها حولا.

وقوله: ﴿وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٗاۚ﴾ أي: هذا كائن لا محالة؛ لأنه من وعد الله، والله لا يخلف الميعاد؛ لأنه الكريم المنان، الفعَّال لما يشاء، القادر على كل شيء، ﴿وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ﴾، الذي قد قهر كل شيء، ودان له كل شيء، ﴿ٱلۡحَكِيمُ﴾ في أقواله وأفعاله، الذي جعل القرآن هُدًى للمؤمنين ﴿قُلۡ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدٗى وَشِفَآءٞۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٞ وَهُوَ عَلَيۡهِمۡ عَمًىۚ﴾ [فصلت: ٤٤]، ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٞ وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارٗا﴾ [الإسراء: ٨٢].

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ﴾ لما ذكر عذاب الكفار ذكر نعيم المؤمنين ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ﴾ أي دائمين ﴿وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٗاۚ﴾ أي: وعدهم الله هذا وعدًا حقًّا لا خُلْف فيه ﴿وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ تقدم أيضا.

❀ ❀ ❀

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ وَأَلۡقَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمۡ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖۚ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجٖ كَرِيمٍ ١٠﴾؟

ج: هذا – والله أعلم- بيانٌ لقدرة الله ﷻ فإنه سبحانه خلق هذه السموات الطباق السبع بغير أعمدة نراها مع هذا الاتساع العظيم، ولكن ليس لها أعمدةٌ ترى، وهنا وجهان للعلماء:

أحدهما: هل هناك أعمدة ولكنها لا تُرى؟ أم أنه ليس هنالك أعمدة مُطلقًا، وبكل قد قال فريق من العلماء.

أما قوله تعالى: ﴿وَأَلۡقَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ﴾ أي خلق الجبال في الأرض في

مناطق متفرقة منها حتى لا تميل الأرض ولا تضطرب، وخلق كل أنواع الدواب وفرَّقها ونشرها في الأرض، وأنزل من السماء ماءً (وهو المطر) فأنبت به في الأرض من كل صنف حسن بهيج وبنحو هذا قال العلماء.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

بعد أن أورد آثارًا مفادها أن هناك عمدًا لكن لا نراها، وآثارًا بأنها ليس لها عمد، **قال:**

وقوله: ﴿وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾ يقول: وجعل على ظهر الأرض رواسي، وهي ثوابت الجبال أن تميد بكم أن لا تميد بكم. يقول: أن لا تضطرب بكم، ولا تتحرّك يُمْنَةً ولا يُسْرةً، ولكن تستقرّ بكم.

وأورد بإسنادٍ حسن: عن قتادة: ﴿وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ﴾ : أي: جبالًا ﴿أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾ أثبتها بالجبال، ولولا ذلك ما أقرّت عليها خَلْقًا، وذلك كما قال الراجز:

والمُهْرُ يأْبَى أنْ يَزَالَ مُلْهَبا

بمعنى: لا يزال.

ثم قال: وقوله: ﴿وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ﴾ يقول: وفرّق في الأرض من كلّ أنواع الدوابّ. وقيل: الدوابّ اسم لكلّ ما أكل وشرب، وهو عندي لكلّ ما دبّ على الأرض.

﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ يقول تعالى ذكره: وأنزلنا من السماء مطرا، فأنبتنا بذلك المطر في الأرض من كلّ زوج، يعني: من كل نوع من النبات ﴿كَرِيمٍ﴾، وهو الحسن النِّبتة.

وأورد بإسنادٍ حسن: عن قتادة: ﴿مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ : أي حسن.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يُبين سبحانه بهذا قدرته العظيمة على خَلْق السموات والأرض، وما فيهما وما بينهما، فقال: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ﴾، قال الحسن وقتادة: ليس لها عَمَد مرئية ولا غير مرئية.

وقال ابن عباس، وَعِكْرِمة، ومجاهد: لها عمد لا ترونها. وقد تقدم تقرير هذه المسألة في أول سورة «الرعد» بما أغنى عن إعادته.

﴿وَأَلۡقَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ﴾ يعني: الجبال أرست الأرض وثقلتها لئلا تضطرب بأهلها على وجه الماء؛ ولهذا قال: ﴿أَن تَمِيدَ بِكُمۡ﴾ أي: لئلا تميد بكم.

وقوله: ﴿وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖۚ﴾ أي: وذرأ فيها من أصناف الحيوانات مما لا يعلم عدد أشكالها وألوانها إلا الذي خلقها.

ولما قرر أنه الخالق نبه على أنه الرازق بقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجٖ كَرِيمٍ﴾ أي: من كل زوج من النبات كريم، أي: حسن المنظر.

وقال الشعبي: والناس -أيضًا -من نبات الأرض، فَمَنْ دخل الجنة فهو كريم، ومَنْ دخل النار فهو لئيم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿هَٰذَا خَلۡقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ١١﴾؟

ج: المعنى – والله تعالى أعلم- هذا الذي ذكرته لكم من خلق السموات والأرض والجبال والدواب وسائر الخلق، هذا كله خلق الله، لم يخلقه أحدٌ سواه فأطلعوني على أي شيء خلقته آلهتكم التي تعبدونها، تلك الأوثان

والأصنام، وغيرها، وقطعًا فلن تأتوا بشيء أبدًا خلقته آلهتكم التي عبدتموها مع الله، ولكن دومًا الظالمون أنفسهم بشركهم في بُعْدٍ عن الحق ظاهر وواضح، في بُعْدٍ موضح لمن تأمله أنهم ضلال والله أعلم.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: هذا الذي أعددت عليكم أيها الناس أني خلقته في هذه الآية خلق الله الذي له ألوهة كل شيء، وعبادة كل خلق، الذي لا تصلح العبادة لغيره، ولا تنبغي لشيء سواه، فأروني أيها المشركون في عبادتكم إياه من دونه من الآلهة والأوثان، أي شيء خلق الذين من دونه من آلهتكم وأصنامكم، حتى استحقت عليكم العبادة فعبدتموها من دونه؟ كما استحقّ ذلك عليكم خالقكم، وخالق هذه الأشياء التي عددتها عليكم.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة قوله: ﴿هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ﴾ ما ذكر من خلق السموات والأرض، وما بثّ من الدوابّ، وما أنبت من كلّ زوج كريم ﴿فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾ الأصنام الذين تدعون من دونه.

قال: وقوله: ﴿بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ يقول تعالى ذكره: ما عبد هؤلاء المشركون الأوثان والأصنام من أجل أنها تخلق شيئًا، ولكنهم دعاهم إلى عبادتها ضلالهم، وذهابهم عن سبيل الحقّ، فهم في ضلال: يقول: فهم في جور عن الحقّ، وذهاب عن الاستقامة مبين: يقول: يبين لمن تأمله، ونظر فيه وفكّر بعقل أنه ضلال لا هُدى.

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: ﴿هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ﴾ أي: هذا الذي ذكره تعالى من خلق السموات، والأرض وما بينهما، صادر عن فعل الله وخلقه وتقديره، وحده لا شريك له في

ذلك؛ ولهذا قال: ﴿فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾ أي: مما تعبدون وتدعون من الأصنام والأنداد، ﴿بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ يعني: المشركين بالله العابدين معه غيره ﴿فِي ضَلَٰلٍ﴾ أي: جهل وعمى، ﴿مُّبِينٍ﴾ أي: واضح ظاهر لا خفاء به.

❁ ❁ ❁

قَالَ ٱللَّهِ تَعَالَىٰ:

﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا لُقۡمَٰنَ ٱلۡحِكۡمَةَ أَنِ ٱشۡكُرۡ لِلَّهِۚ وَمَن يَشۡكُرۡ فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦۖ
وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٞ ١٢ وَإِذۡ قَالَ لُقۡمَٰنُ لِٱبۡنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا
تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ١٣ وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ
حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ وَهۡنًا عَلَىٰ وَهۡنٖ وَفِصَٰلُهُۥ فِي عَامَيۡنِ أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَ إِلَيَّ
ٱلۡمَصِيرُ ١٤ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا
تُطِعۡهُمَاۖ وَصَاحِبۡهُمَا فِي ٱلدُّنۡيَا مَعۡرُوفٗاۖ وَٱتَّبِعۡ سَبِيلَ مَنۡ أَنَابَ إِلَيَّۚ ثُمَّ إِلَيَّ
مَرۡجِعُكُمۡ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ١٥ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ
حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ
ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ ١٦ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ
وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ١٧ وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا
تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ ١٨ وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ
وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ ١٩﴾

[لقمان: ١٢-١٩]

س: اذكر معاني هذه:

﴿ءَاتَيْنَا - حَمِيدٌ - يَعِظُهُۥ - وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ - وَفِصَٰلُهُۥ فِي عَامَيْنِ - جَٰهَدَاكَ - وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ - أَنَابَ إِلَيَّ - فَأُنَبِّئُكُم - مِثْقَالَ حَبَّةٍ - يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ - لَطِيفٌ - أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ - عَزْمِ ٱلْأُمُورِ - وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ - مَرَحًا - مُخْتَالٍ - فَخُورٍ - وَٱقْصِدْ فِي مَشْيِكَ - وَٱغْضُضْ - أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ﴾؟

ج:

الكلمة	معناها
﴿ءَاتَيْنَا﴾	أعطينا – رزقنا – علَّمنا
﴿حَمِيدٌ﴾	محمود على كل حال
﴿يَعِظُهُۥ﴾	يُذكِّره – يُخوِّفه
﴿وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ﴾	ضعفًا على ضعفٍ – جهدًا على جهدٍ – مشقة فوق مشقة
﴿وَفِصَٰلُهُۥ فِي عَامَيْنِ﴾	فطامه بعد عامين – تربيته – إرضاعه بعد وضعه
﴿جَٰهَدَاكَ﴾	حارباك – اجتهدا لإجبارك على فعل شيء
﴿وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ﴾	اسلك طريق
﴿أَنَابَ إِلَيَّ﴾	رجع إليَّ – سلك طريقي – أقبل عليَّ
﴿فَأُنَبِّئُكُم﴾	فأخبركم

﴿مِثْقَالَ حَبَّةٍ﴾	زنة حبةٍ – وزن حبة
﴿يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ﴾	يُحضرها الله(١) يوم القيامة
﴿لَطِيفٌ﴾	عليم بالأشياء وإن تضاءلت
﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾	حافظ وداوم عليها
﴿عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾	الأمور التي أمر الله بها وأكَّد على فعلها
﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ﴾	لا تُمل – لا تُعرض
﴿مَرَحًا﴾	مختالاً – متبختراً – متجبراً
﴿مُخْتَالٍ﴾	جبار – مُتعالٍ
﴿فَخُورٍ﴾	متكبر على الناس
﴿وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ﴾	توسط في مشيك
﴿وَٱغْضُضْ﴾	واخفض
﴿أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ﴾	شر الأصوات – أقبح الأصوات – أشد الأصوات

❁ ❁ ❁

شيء عن لقمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ

س: اذكر شيئًا عن لقمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

ج: أما عن لقمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ و رَحِمَهُٱللَّهُ:

(١) كما قال سبحانه: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء: الآية ٤٧].

فلم أقف في كتاب الله ﷻ على شيء بخصوصه إلا في هذه السورة المباركة، وكذا لم أقف على شيء ثابت عنه في سُنة رسول الله ﷺ.

وقد قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

«هو: لقمان بن عنقاء بن سدون. واسم ابنه: ثاران في قول حكاه السهيلي».

وعن عمله: فقد قيل: إنه كان خيَّاطًا، وقيل: كان نجارًا، وقيل: كان راعيًا، وقيل: كان قاضيًا، فالله ﷻ أعلى وأعلم!!

ولقد ذكرت أوصافٌ له كثيرة تدل على دمامته، فالله أعلم.

وقد قيل: إنه من الحبشة، وقيل: من السودان، والعلم عند الله.

وكلُّ هذا ليس بضائر، فالعِبْرة مأخوذة على كل حال، والحمد لله.

فهو رجل آتاه الله الحكمة، وذكَّرنا سبحانه بموعظته لولده، علَّنا ننتفع بها ونستفيد منها.

فمن ثَمَّ لا تبذل جهدًا، ولا تضيع وقتًا وراء البحث عن نسبه وقبيلته وبلدته، فلنسكت عما ترك الله ذكره في كتاب الله ﷻ، ولنسكت عما لم يذكره رسول الله ﷺ حفظًا للجهد والوقت[١].

❁ ❁ ❁

س: هل لقمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ نبي أم ليس بنبي؟

ج: أكثر أهل العلم[٢]: على أنه ليس بنبيٍّ، وإنما هو عبدٌ صالحٌ آتاه الله ﷻ

(١) ولا نرهق أنفسنا أيضًا في البحث عن اسم كلب أصحاب الكهف، وقبائلهم، ولا بلدة العزير، ولا غير ذلك.

(٢) والقول بعدم نبوته هو قول جمهور العلماء، ذكره عنهم القرطبي، وابن كثير رحمهما الله وغيرهما من العلماء.

ومما استدل به على عدم نبوته ما ورد في بعض الآثار من أنه كان عبدًا حبشيًّا، والرسل إنما تُبعث في

الحكمة، وعلَّمه إيَّاها.

قال قتادة: «لم يكن نبيًّا، ولم يوح إليه».

وصحَّ عن مجاهد أنه قال: «كان لقمان رجلًا صالحًا ولم يكن نبيًّا»[(١)].

❁ ❁ ❁

س: اذكر فائدة الثناء على لقمان ﷺ قبل موعظته لولده.

ج: هذا الثناء في هذا الموطن له فائدةٌ عظيمةٌ، فوصفه بالحكمة يقتضي الحثَّ على الاستماع إلى ما سيلقيه لقمان من الموعظة؛ وذلك لكونها مواعظَ صادرةً من حكيم، والذي وصفه بأنه أُوتي الحكمةَ إنما هو الله ﷻ، ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء: ١٢٢]، ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٨٧].

ثم إنها موعظةٌ ذكرها الله ﷻ في كتابه الكريم، فدلَّ ذلك على أنه يلزمنا الاعتناء بها وتدبرها، والتفكر فيها، والعلم بمقتضاها.

❁ ❁ ❁

معنى الحكمة

س: اذكر شيئًا عن معنى الحكمة وفضل من يُؤتاها.

ج: أما الحكمة فلها معانٍ كثيرة:

منها: الإصابة والسداد في القول والعمل.

ومنها: وضع الشيء في محلِّه اللائق به، فلا يتكلم بكلمة في غير موضعها، فمثلًا إذا رأى المقام يحتاج إلى شدةٍ اشتدَّ، وإذا رآه يحتاج إلى الأناةِ ألانَ

أحساب قومها كما قال هرقل لأبي سفيان سائلًا إياه عن حسب رسول الله ﷺ، وقال أبو سفيان: هو فينا ذو نسبٍ، فقال هرقل: وكذا الرسل تُبعث في أنساب قومها.

(١) انظر (الطبري/ ٢٨٠٧٩) فما بعده.

الخطاب.

ومنها: الفهم الجيد الصحيح، والعلم النافع، وحُسن التعبير والتأويل.

وصح عن قتادة أنه قال: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ﴾: أي: الفقه في الإسلام.

ومنها: الصواب في المعتقد والفقه في الدين والعقل.

ومن معانيها أيضًا: أنها العقل الراجح الذي يمنع صاحبه من سيِّئ التصرفات.

هذا؛ وأحيانًا تُطلق الحكمة ويُراد بها السُّنة.

هذا؛ وقد بيَّن الله سبحانه وتعالى فضل الحكمة ومن يؤتاها:

فقال في كتابه الكريم: ﴿يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [البقرة: ٢٦٩].

وبيَّن سبحانه وتعالى مِنَّته على نبيِّه داود عَلَيْهِ السَّلَامُ بقوله: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ﴾ [ص: ٢٠].

وعلى نبيه عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ إذ قال: ﴿وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [المائدة: ١١٠].

وكذا مِنَّته على رسوله ﷺ بقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٣].

❁ ❁ ❁

احتياج النِّعم إلى شكر كي تحفظ وتزداد

س: دائمًا النعم تحتاج إلى شكر حتى تنمو وتزداد وكذا فإنه كثيرًا ما يأتي الحث على شكر النعم بعد ذكرها دلِّل على ذلك.

ج: من ذلك في هذا المقام أن الله ﷻ، بعد أن ذكر النعمة التي أنعمها على

لقمان، ألا وهي إيتاؤه الحكمة، أمره أن يقدم لذلك شكرًا لله على ما مَنَّ به عليه، واختصه به من بين أهل زمانه وأقرانه وخِلانه من الحكمة، فقال له: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ﴾، قدِّم شكرًا لخالقك، وذلك إقرار بالفضل واعتراف بالنِّعم، ثم حتى تحفظ هذه النعمة وتزداد ولا تتحول ولا تُزال، فالذي رزقك الحكمة هو الله، فقدِّم له شكرًا حتى يزيدك منها، ولا يحولها إلى غيرك.

فدائمًا شكر النعم سببٌ عظيمٌ من أسباب زيادتها ونمائها وحفظها، وكفران النِّعم سببٌ لزوالها ولتحولها وصرفها:

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧].

أي: وإذا أخبر ربكم وأعلم ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم من نعمي، ومن فضلي عليكم، ولئن جحدتم نعمتي ولم تقدموا لها شكرًا فسيحلُّ بكم العذابُ الشديد؛ إما في الدنيا بزوالها، أو يجعلها نقمةً، وإما في الآخرة.

فجديرٌ إذن بكل من أنعم الله عليه أن يقدِّم لهذه النعمة شكرًا، وكما ازدادت نعم الله عليك لَزِمَك أن تقدِّم لها مزيدًا من الشكر.

فهذه مريمُ عليها السلام أنعم الله عز وجل عليها:

فقال سبحانه: ﴿يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.
[آل عمران: ٤٢]

وقال الله لها: ﴿يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ [آل عمران: ٤٣].

وهذا نبي الله موسى عليه السلام قال الله له – وقد أنعم عليه واصطفاه بالرسالة والتكليم –:

﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ

ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [الأعراف: ١٤٤].

ونبي الله داود وولده سليمان عليهما السلام:

أنعم الله ﷻ عليهما بالذي أنعم، من تسبيح الجبال والطير مع داود، وإلانة الحديد له، والصوت الحسن الجميل، والحِكْمة وفصل الخطاب، وغير ذلك.

وكذا ما أنعم به – سبحانه – على سليمان عليه السلام من تسخير الرياح والجن، وفهم لغة الطير، وإسالة عين القطر له.

قال الله سبحانه: ﴿ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ﴾ [سبأ: ١٣].

وكذا قريش:

لما أنعم الله عليها بنعمة الأمن والأمان، والرزق الذي يأتيها من كل مكان، وكونهم يذهبون إلى اليمن والشام كلَّ عام آمنين مطمئنين وغيرهم يتخطف.

قال تعالى: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ ۝٢ فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ ۝٣ ٱلَّذِيٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ﴾ [قريش: ١-٤].

ورسول الله ﷺ:

قال الله له: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾ [الكوثر: ١].

وقال له: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ﴾ [الكوثر: ٢].

فكما أنَّا أعطيناك الكوثر – وهو الخير الكثير الذي منه نهرٌ في الجنة، ومنه الحوض – فقدِّم لذلك شكرًا ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ﴾ [الكوثر: ٢].

ونحوه: ﴿أَلَمۡ نَشۡرَحۡ لَكَ صَدۡرَكَ ۝١ وَوَضَعۡنَا عَنكَ وِزۡرَكَ ۝٢ ٱلَّذِيٓ أَنقَضَ ظَهۡرَكَ ۝٣ وَرَفَعۡنَا لَكَ ذِكۡرَكَ﴾ [الشرح: ١-٤].

ثم قال له: ﴿فَإِذَا فَرَغۡتَ فَٱنصَبۡ﴾ [الشرح: ٧] أي: فاجتهد في عبادة ربك، ﴿وَإِلَىٰ

رَبِّكَ فَٱرۡغَب﴾ [الشرح: ٨] في اللجوء إليه، ولتكن رغباؤك إليه.

وكذا قوله تعالى: ﴿أَلَمۡ يَجِدۡكَ يَتِيمٗا فَـَٔاوَىٰ ٦ وَوَجَدَكَ ضَآلّٗا فَهَدَىٰ ٧ وَوَجَدَكَ عَآئِلٗا فَأَغۡنَىٰ﴾ [الضحى: ٦-٨]، ثم قوله: ﴿فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ﴾ [الضحى: ٩].

كما أننا آويناك إذ كنت يتيمًا فلا تقهر الأيتام.

وكما أننا هديناك إذ كنت ضالًّا: ﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ﴾ [الضحى: ١٠].

وكما أننا أغنيناك إذ كنت عائلًا تعول غيرك.

فحدِّث بنعمة الله عليك واشكرها ﴿وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ﴾ [الضحى: ١١].

وهكذا كل من أنعم الله عليه يلزمه أن يقدم شكرًا لله حتى تُحفظ عليه نعم الله وتزداد.

هذا؛ ولأن نعم الله علينا لا تُحصى، كما قال سبحانه: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ﴾ [إبراهيم: ٣٤].

فجديرٌ بنا أن نُكثر من الحمد، وأن نُكثر من الشُّكر باليد وباللسان وبالقلب – أعاننا الله على ذكره وشكره وحُسن عبادته–.

❁ ❁ ❁

شكر الشاكرين إنما هو لأنفسهم

س: الشاكر يعود ثواب شكره لنفسه دلِّل على ذلك.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿وَمَن يَشۡكُرۡ فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦۖ﴾ [لقمان: ١٢].

وقوله تعالى: ﴿مَّنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِنَفۡسِهِۦۖ﴾ [فصلت: ٤٦].

وقوله تعالى: ﴿وَمَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِأَنفُسِهِمۡ يَمۡهَدُونَ﴾ [الروم: ٤٤].

وكما في الحديث القدسي الذي أخرجه مسلم[(١)] في «صحيحه»: «**لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا**».

ويُبين الله ﷻ غناه عن خَلْقه وعن شكرهم له، فيقول تعالى: ﴿وَمَن كَفَرَ﴾ أي: ومن جحد النعم وكفرها ولم يؤد شكرها، ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ﴾ عنه وعن شكره.

وقوله تعالى: ﴿حَمِيدٌ﴾ أي: محمود على كل حال، وإن كفر النِّعم الكافرون، وجحدها الجاحدون.

وكذلك فإن الله ﷻ يحمد صنائع المعروف التي يفعلها العباد ويتقربون بها إليه، وذلك حتى لا يتسرب إلى شخص، سؤال حاصله: إذا كان الله غنيًّا عنَّا وعن شُكرنا، فلماذا نقدم هذا الشكر؟

فيكون جوابه: إن الله يحب منا صنائع المعروف.

قال تعالى: ﴿وَمَا يَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ﴾ [آل عمران: ١١٥].

وقال تعالى: ﴿وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٥٨].

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ﴾ يقول تعالى ذكره: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ﴾، أن احمد الله على ما آتاك من فضله، وجعل قوله: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ﴾ ترجمة عن الحكمة؛ لأن من الحكمة التي كان أوتيها، كان شكره الله على ما آتاه، وقوله: ﴿وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ﴾ يقول: ومن يشكر الله على نعمه عنده فإنما يشكر لنفسه؛ لأن الله يجزل له على شكره إياه الثواب، وينقذه به من الهلكة ﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ﴾ يقول: ومن كفر نعمة الله عليه إلى نفسه أساء؛ لأن

(١) مسلم (٢٥٧٧).

الله معاقبه على كفرانه إياه، والله غنيٌّ عن شكره إياه على نعمه، لا حاجة به إليه؛ لأن شكره إياه لا يزيد في سلطانه، ولا ينقص كفرانه إياه من ملكه. ويعني بقوله: ﴿حَمِيدٌ﴾: محمود على كلِّ حال، له الحمد على نعمه، كفر العبد نعمته أو شكره عليها، وهو مصروف من مفعول إلى فعيل. اهـ.

❋ ❋ ❋

س: هذا شأن أهل الفضل مع أبنائهم أنهم يقدمون لهم المواعظ، ويخوفونهم بالله، ويحذرونهم من عقابه، ويرشدونهم إلى ما يقربهم من ربهم ولقائه، ويسألون الله لهم الهداية. دلِّل على ذلك.

ج: من ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ﴾ [لقمان: ١٣]، أي: واذكر موعظة لقمان لابنه.

كما قال الخليل إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾ [إبراهيم: ٤٠].

وكما في دعاء عباد الرحمن ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ [الفرقان: ٧٤].

كما في الدعاء: ﴿وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓ﴾ [الأحقاف: ١٥].

❋ ❋ ❋

خطر الشرك

س: افتتحت هذه الموعظة العظيمة التي وعظ بها لقمان ولده بالتحذير من هذا الخطر العظيم أكبر الكبائر وأعظم الذنوب ألا وهو الشرك بالله، اذكر بعض ما يدل على خطورة الشرك وعظيم ضرره.

ج: نعم، فالشرك ظلم عظيم، كما قال الله تعالى.

إنه ذنب لا يُغفر، إذا مات عليه العبد:

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء: ٤٨].

إنه كذب وافتراء على الله:

قال تعالى: ﴿وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨].

إنه ضلال بعيد:

قال تعالى: ﴿وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١١٦].

إنه يحبط الأعمال ويُذهب بثوابها:

قال الله تعالى: ﴿وَلَوۡ أَشۡرَكُواْ لَحَبِطَ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥].

وقال تعالى: ﴿۞قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡۖ أَلَّا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ﴾ [الأنعام: ١٥١].

إنه أكبر الكبائر:

قال رسول الله ﷺ: «أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ؟» قُلْنَا: بَلَى، يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «الْإِشْرَاكُ بِاللهِ ....» الحديث(١).

إنه يُحرِّم الجنة على مرتكبه:

قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ﴾ [المائدة: ٧٢].

والآيات في هذا الباب كثيرة جدًّا.

---

(١) البخاري (٢٦٥٤)، ومسلم (٨٧).

وروى مسلم[(١)] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي؛ تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ**».

وأخرج الإمام أحمد في «مسنده»[(٢)] بإسناد صحيح عَنْ مَحْمُودِ بْنِ لَبِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ**»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ؟ قَالَ: «**الرِّيَاءُ، يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ - إِذَا جُزِيَ النَّاسُ بِأَعْمَالِهِمْ -: اذْهَبُوا إِلَى الَّذِينَ كُنْتُمْ تُرَاءُونَ فِي الدُّنْيَا، فَانْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ عِنْدَهُمْ جَزَاءً**».

وأخرج البخاري ومسلم[(٣)] من حديث أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «**يَقُولُ اللهُ تَعَالَى لِأَهْوَنِ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ: لَوْ أَنَّ لَكَ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ أَكُنْتَ تَفْتَدِي بِهِ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ. فَيَقُولُ: أَرَدْتُ مِنْكَ أَهْوَنَ مِنْ هَذَا وَأَنْتَ فِي صُلْبِ آدَمَ أَنْ لَا تُشْرِكَ بِي شَيْئًا فَأَبَيْتَ إِلَّا أَنْ تُشْرِكَ بِي**».

❁ ❁ ❁

س: هذه الآية الكريمة ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ١٣﴾ مفسرة لآية في سورة الأنعام، وضح ذلك.

ج: نعم، هذه الآية الكريمة مفسرة لآية في سورة الأنعام، ألا وهي: قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢].

---

(١) مسلم حديث (٢٩٨٥).

(٢) أحمد (٥/ ٤٢٨).

(٣) البخاري (٦٥٥٧)، ومسلم (٢٨٠٥).

فلما نزلت شقَّ نزولها على أصحاب رسول الله ﷺ، فقالوا: أيُّنا لم يظلم نفسه يا رسول الله؟ فقال ﷺ: «**ألم تقرءوا قول لقمان**: ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾».

وها هو الحديث بذلك:

أخرج البخاري ومسلم من حديث عَبْدِ اللهِ بن مسعود رضي الله عنه قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ﴾ [الأنعام: ٨٢] شَقَّ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ وَقَالُوا: أَيُّنَا لَمْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَيْسَ كَمَا تَظُنُّونَ إِنَّمَا هُوَ كَمَا قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ**: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾ [لقمان: ١٣]»[1].

وفي بعض الروايات: «فأنزل الله: ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾ [لقمان: ١٣]».

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ١٣﴾.

ج: قوله: ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾ [لقمان: ١٣] أي: لبخس عظيم للنفس، فالمشرك بخس نفسه حقها وظلم نفسه ظُلمًا شديدًا، فلنفسه عليه حق، من حقها عليه أن يبحث لها عن أسباب سلامتها، وأسباب نجاتها، وأسباب سعادتها، ويفعل ما يجلب لها به السعادة والسلامة والنجاة، أما كونه يُهلكها ويُرديها ويتسبب لها في عذاب لا يزول، ولا يتحول، ويتسبب لها في دخول الجحيم خالدًا مخلدًا فيها أبدًا، فقد بخسها حقها بلا شك، وأي بخس أعظم من هذا البخس؟!!

وأيُّ ظُلم أعظم من هذا الظلم؟!!

---

(١) البخاري (٣٤٢٩)، ومسلم (١٢٤)، واللفظ له.

عياذًا بالله من الظلم والظلمات!!

ثم إن أعظم حقٍّ لله علينا: أن نعبده ونوحده لا نشرك به شيئًا، فمن لم يؤد هذا الحق فقد ارتكب أعظم الظلم.

وصدق الله إذ قال: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣].

❃ ❃ ❃

س: لماذا لم تجر الوصية بالوالدين على لسان لقمان صريحة فلم يقل: (واستوصي بوالديك خيرًا) مثلًا، بل قال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ﴾؟

ج: قال بعض العلماء: إن ذلك حتى لا يظن المنصوح أن الناصح إنما ينصح من أجل نفسه، وكذا لا يظن من قدَّمت له الموعظة أن الواعظ إنما يعظ لحظ نفسه، بل جعلت الوصية بالوالدين من الله ﷻ، فحصل تحول في الخطاب.

قال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾ [لقمان: ١٤].

❃ ❃ ❃

الأمر بالإحسان إلى الوالدين

س: لقد تكرر التذكير بحق الوالدين في عدة آيات بعد الأمر بعبادة الله ﷻ، وضح السبب في ذلك، واذكر بعض هذه الآيات؟

ج: أما سبب ذلك فهو أن حق الوالدين أعظم حق بعد حق الله ورسوله، فالتذكير بهذا الحق لبيان عظيم منزلته.

ودلَّت على هذا أدلة كثيرة من الكتاب والسُّنة.

فمن ذلك ما يلي:

قال الله تبارك وتعالى: ﴿ ۞ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾

[النساء: ٣٦].

وقال تعالى: ﴿ ۞ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۖ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۖ ﴾ [الأنعام: ١٥١].

وقال تعالى: ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۚ ﴾ [الإسراء: ٢٣].

وقد أخذ الله الميثاق على بني إسرائيل أن يحسنوا إلى الوالدين:

فقال سبحانه: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ [البقرة: ٨٣].

فانظر إلى هذه النصوص، وكيف أن الأمر بعبادة الله ﷻ وحده لا شريك له جاء ويُعقبه الأمر بالإحسان إلى الوالدين؟ فترى على ماذا يدل هذا؟!

ثم انظر أيضًا إلى حديث النبي ﷺ الذي يُبين منزلة برِّ الوالدين من بين سائر الأعمال:

وذلك فيما أخرجه البخاري ومسلم(١) من حديث عَبْدِ اللهِ بن مسعود قَالَ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ أَيُّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللهِ؟ قَالَ: «**الصَّلَاةُ عَلَى وَقْتِهَا**» قَالَ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «**ثُمَّ بِرُّ الْوَالِدَيْنِ**» قَالَ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «**الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ**» قَالَ: حَدَّثَنِي بِهِنَّ وَلَوِ اسْتَزَدْتُهُ لَزَادَنِي.

وأخرج الإمام أحمد(٢) بسند صحيح عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**نِمْتُ فَرَأَيْتُنِي فِي الْجَنَّةِ فَسَمِعْتُ صَوْتَ قَارِئٍ يَقْرَأُ فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: هَذَا حَارِثَةُ بْنُ النُّعْمَانِ**» فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**كَذَاكَ الْبِرُّ كَذَاكَ الْبِرُّ**» وَكَانَ أَبَرَّ النَّاسِ بِأُمِّهِ.

---

(١) البخاري (٥٩٧٠)، ومسلم (٨٥).

(٢) المسند (٦/ ١٥١-١٥٢).

وحديث الثلاثة[(١)] أصحاب الغار، وتوسل واحدٍ منهم ببرّه بأبويه مشهور صحيح ومعروف، وفيه: أن الله فرّج بسبب ذلك شيئًا مما هم فيه.

وفي الصحيحين[(٢)] من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صَحَابَتِي؟ قَالَ: «**أُمُّكَ**»، قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «**ثُمَّ أُمُّكَ**» قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «**ثُمَّ أُمُّكَ**» قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «**ثُمَّ أَبُوكَ**».

وعند البخاري في «الأدب المفرد»[(٣)] بإسناد حسن من طريق بهز بن حكيم

---

(١) انظره في البخاري (٥٩٧٤)، ومسلم (٢٧٤٣).

(٢) البخاري مع «الفتح» حديث (٥٩٧١)، ومسلم مع النووي (٥/ ٤١٠).

قال النووي ﵀: وَفِيهِ الْحَثّ عَلَى بِرّ الْأَقَارِب، وَأَنَّ الْأُمّ أَحَقّهمْ بِذَلِكَ، ثُمَّ بَعْدهَا الْأَب، ثُمَّ الْأَقْرَب فَالْأَقْرَب.

قَالَ الْعُلَمَاء: وَسَبَب تَقْدِيم الْأُمّ كَثْرَة تَعَبهَا عَلَيْهِ، وَشَفَقَتهَا، وَخِدْمَتهَا، وَمُعَانَاة الْمَشَاقّ فِي حَمْله، ثُمَّ وَضْعه، ثُمَّ إِرْضَاعه، ثُمَّ تَرْبِيَته وَخِدْمَته وَتَمْرِيضه، وَغَيْر ذَلِكَ.

وَنَقَلَ الْحَارِث الْمُحَاسِبِيّ إِجْمَاع الْعُلَمَاء عَلَى أَنَّ الْأُمّ تُفَضَّل فِي الْبِرّ عَلَى الْأَب، وَحَكَى الْقَاضِي عِيَاض خِلَافًا فِي ذَلِكَ، فَقَالَ الْجُمْهُور بِتَفْضِيلِهَا.

وَقَالَ بَعْضهمْ: يَكُون بِرّهمَا سَوَاء. قَالَ: وَنَسَبَ بَعْضهمْ هَذَا إِلَى مَالِك، وَالصَّوَاب الْأَوَّل لِصَرِيحِ هَذِهِ الْأَحَادِيث فِي الْمَعْنَى الْمَذْكُور. وَاَللَّه أَعْلَم.

(٣) البخاري في «الأدب المفرد» (٣ ج ١ ص ٤٤).

وقال فضل الله الجيلاني رحمه الله تعالى في تعليقه على هذا الحديث من «الأدب المفرد»:

الأم مقدمة في الإجماع في البرّ على الأب، وأن يكون للأم ثلاثةُ أمثال ما للأب من البر، وذلك لتحمل المشاق في الحمل والوضع حتى تكاد تموت، ولا أقل أن تذوقه في كل وضع إذا ضربها الطلق، ثم المحنة زمن الرضاع إلى أن يكبر الولد ويستغني عن خدمتها، فهذه تنفرد بها الأم وتشقى بها ثم تشارك الأب في الإنفاق والتربية وأنواع من المؤنة والخدمة ماداما حيين (كذا ذكره السيوطي) أخذ ذلك من تكرار حق الأم، والأظهر أن يكون تأكيدًا ومبالغة في رعاية حق الأم، وذلك لتهاون أكثر الناس في حق الأم بالنسبة إلى الأب؛ لأن أمر الأم كلَّه في البيت تحت الستور ولا يطلع عليه الناس، فيجترئ الناس على عقوقها أكثر من عقوق الوالد حياءً من الناس، وكذا قوته تزجر عن

عن أبيه عن جده قلت: مَنْ أَبَرُّ؟ قَالَ: «**أُمُّكَ**»، قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «**أُمُّكَ**» قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «**أَبَاكَ**» قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «**الأدْنَى فالأدْنَى**».

وهذه وصية بالأم أيضًا

وَعَنِ الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِ يكَرِبَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ اللهَ يُوصِيكُمْ بِأُمَّهَاتِكُمْ – ثَلَاثًا – إِنَّ اللهَ يُوصِيكُمْ بِآبَائِكُمْ، إِنَّ اللهَ يُوصِيكُمْ بِالْأَقْرَبِ فَالْأَقْرَبِ**»[(١)].

وهذا يدل على فضل برِّ الأم:

فكما هو معلوم من منهج ابن عباس وطريقته في الفتيا في أبواب الكفارات أنه يفتي – إذا لم يكن في تحديد الكفارة نصٌّ – بكفارة توازي الذنب المرتكب أو تفوقه حتى يمحى أثره ويُزَالُ، كفتياه في إتيان الحائض، وفتياه في من ترك واجبًا من واجبات الحج وغير ذلك.

وها هو هنا يفتي بفتوى فاقرأها وأمعن النظر لترى كيف منزلة برّ الأم مع الكفارات:

أخرج البخاري[(٢)] في «الأدب المفرد» بإسناد صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه أتاه رجل فقال: إني خطبت امرأة فأبت أن تنكحني، وخطبها غيري

الجرأة عليه، وضعفها يحمل الدنيء على الإساءة إليها، ولا يبعد أن الشريعة بالغت في البرّ بها أكثر من البرّ بالأب مواساة لها ومراعاة لضعف قلوب النساء وشفقة على الولد، مع أن الأب ليس أنقص حقًّا من حقوقها؛ لأن الأم للين طبعها وضعف بنيتها لا تستطيع أحيانًا أن تتحمل إباءه وسوء خلقه فتعجل أن تغضب فتسرع بالدعاء عليه، والمذكور في كتب الفقه أن حق الوالد أعظم من حق الوالدة، وبرّها أوجب، كذا في شرعة الإسلام. [إنجاح الحاجة، بزيادة].

(١) **صحيح لشواهده:** أخرجه ابن ماجه (٣٦٦١).

(٢) «الأدب المفرد» (أثر ٤ ج ١) ص (٤٥).

فأحبَّت أن تنكحه، فغِرتُ عليها فقتلتها، فهل لي من توبة؟ قال: أُمُّك حية؟ قال: لا، قال: تب إلى الله ۵ وتقرب إليه ما استطعت، فذهبت فسألت ابن عباس لم سألته عن حياة أمه؟ فقال: إني لا أعلم عملًا أقرب إلى الله ۵ من بر الوالدة.

وهذا أثر أيضًا: بإسناد صحيح عن ابن عمر، فعند البخاري في «الأدب المفرد»[(١)] من طريق طَيْسَلة بن مَيّاس قال: كنت مع النجدات[(٢)] فأصبت ذنوبًا لا أراها إلا من الكبائر فذكرت ذلك لابن عمر قال: ما هي؟ قلت: كذا وكذا، قال: ليست هذه من الكبائر، هن تسع: الإشراك بالله، وقتل نسمة، والفرار من الزحف، وقذف المحصنة، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، وإلحاد في المسجد، والذي يستسخر، وبكاء الوالدين من العقوق».

قال لي ابن عمر: أتفرق من النار، وتحب أن تدخل الجنة؟ قلت: إى والله! قال: أحيٌّ والدك؟ قلت: عندي أمي قال: فوالله لو ألنت لها الكلام وأطعمتها الطعام لتدخلن الجنة ما اجتنبت الكبائر.

هذا؛ وقوله: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ﴾ بيان لسبب الوصية بالوالدين، وتذكيرٌ بإحسانهما المتقدم، وبحق الأم خاصة.

فإن سأل سائل عن سبب الوصية بالوالدين، وسبب الاعتناء بالأم؟

فلذلك أسباب منها:

﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ﴾ في بطنها ﴿وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ﴾ أي: ضعفًا على ضعف.

فالمرأة بجبلتها ضعيفة، ثم الحمل يضعفها أكثر وأكثر، ويجهدها أشد

---

(١) «الأدب المفرد» (أثر ٨ ج ١) ص (٥٢).

(٢) النجدات: أصحاب نجدة بن عامر الخارجي، قاله فضل الله الجيلاني.

وأشد.

وأيضًا من أسباب الوصية بها: كونها أرضعته وقامت على تربيته وخدمته بعد إرضاعه، وذلك مدة الرضاعة التي بها يستغني عن سائر المطعومات، ألا وهي عامان.

قال تعالى: ﴿وَفِصَٰلُهُۥ فِي عَامَيۡنِ﴾، أي: تربيته وإرضاعه بعد وضعه في عامين.

ثم أمر الله ﷻ بتقديم الشكر له سبحانه، فله النعمة، وله الفضل، وله الثناء الحسن أولًا وآخرًا.

وأمر أيضًا بتقديم الشكر للوالدين، وعهد إليه بذلك.

فقال: ﴿أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَ﴾ تذكيرًا بحق الوالدين وحثًّا على إكرامهما والإحسان إليهما والدعاء لهما كما قال: ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا﴾ [الإسراء: ٢٤].

أما قوله تعالى: ﴿إِلَيَّ ٱلۡمَصِيرُ﴾، فتذكير بأنّ المرجع والمآب والمراد إلى الله ﷻ يوم القيامة.

فيجازي كلَّ عامل بعمله، وكل شاكر على شكره أفضلَ الجزاء وأتمه وأوفره.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَ﴾ يقول: وعهدنا إليه أن اشكر لي على نعمي عليك، ولوالديك تربيتهما إياك، وعلاجهما فيك ما عالجا من المشقة حتى استحكم قواك.

وقوله: ﴿إِلَيَّ ٱلۡمَصِيرُ﴾ يقول: إلى الله مصيرك أيها الإنسان، وهو سائلك عما كان من شكرك له على نعمه عليك، وعما كان من شكرك لوالديك، وبرّك

بهما على ما لقيا منك من العناء والمشقة في حال طفولتك وصباك، وما اصطنعا إليك في برّهما بك، وتحننهما عليك.

❁ ❁ ❁

س: فيمن نزل قوله تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ ﴾؟

ج: هذه الآيات الكريمات نزلت في سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

أخرج مسلم[1] في «صحيحه» من حديث مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ عَنْ أَبِيهِ أَنَّهُ نَزَلَتْ فِيهِ آيَاتٌ مِنَ الْقُرْآنِ قَالَ: حَلَفَتْ أُمُّ سَعْدٍ أَنْ لَا تُكَلِّمَهُ أَبَدًا حَتَّى يَكْفُرَ بِدِينِهِ، وَلَا تَأْكُلَ وَلَا تَشْرَبَ، قَالَتْ: زَعَمْتَ أَنَّ اللهَ وَصَّاكَ بِوَالِدَيْكَ - وَأَنَا أُمُّكَ - وَأَنَا آمُرُكَ بِهَذَا.

قَالَ: مَكَثَتْ ثَلَاثًا حَتَّى غُشِيَ عَلَيْهَا مِنَ الْجَهْدِ، فَقَامَ ابْنٌ لَهَا يُقَالُ لَهُ: عُمَارَةُ فَسَقَاهَا، فَجَعَلَتْ تَدْعُو عَلَى سَعْدٍ، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي الْقُرْآنِ هَذِهِ الْآيَةَ:

﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴾ [لقمان: ١٤، ١٥] ... فذكر الحديث.

وفي رواية عند الطبري[2]:

عن سعد بن مالك – وهو سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال: نزلت فيّ ﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴾ قال: لما أسلمت، حلفت أمي لا تأكل طعامًا ولا تشرب شرابًا، قال: فناشدتها أوّل يوم، فأبت وصبرت، فلما كان اليوم الثاني ناشدتها، فأبت، فلما

(١) مسلم (١٧٤٨).
(٢) الطبري (٢٨٠٩٨).

كان اليوم الثالث ناشدتها فأبت، فقلت: والله، لو كانت لك مائة نفس لخرجت قبل أن أدع ديني هذا، فلما رأت ذلك، وعرفت أني لست فاعلا أكلت.

وفي رواية أخرى عنه:

قال: قالت أمّ سعد لسعد: أليس الله قد أمرك بالبرّ، فوالله، لا أطعم طعامًا ولا أشرب شرابًا حتى أموت أو تكفر، قال: فكانوا إذا أرادوا أن يطعموها شجروا فاها بعصا، ثم أوجروها، فنزلت هذه الآية ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ﴾.

[العنكبوت: ٨]

❁ ❁ ❁

س: هل طاعة الوالدين مُطلقة في كل ما يأمران به ومع إيضاح قوله: ﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ﴾؟

ج: كلا بل هي في المعروف؛ لقول النبي ﷺ: «**إنما الطاعة في المعروف**» وقال تعالى: ﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ﴾ أي: وإن حرصا كلَّ الحرص واجتهدا كل الاجتهاد، وضغطا بكل أنواع الضغوط عليك كي تترك دينك وتتابعهما على دينهما دينِ المشركين فلا تطعهما ولا توافقهما، ومع هذا الرفض رفض الدخول في دينها، ومع حرصهما على أن تتابعهما ورفضك لذلك، صاحبهما في الدنيا معروفًا، أي أحسن إليهما بصور الإحسان التي تستطيعهما دون أن يتأثر بذلك دينك، واتبع سبيل أهل الإيمان، واسلك طريقهم، واقتفِ آثارهم، فهذا قوله تعالى: ﴿وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾ يعني: واسلك سبيل المؤمنين المطيعين لي الذين سلكوا طريقي، واستقاموا على أمري.

هذا؛ وقد قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: وإن جاهدك أيها الإنسان والداك على أن تشرك بي في عبادتك إياي معي غيري، مما لا تعلم أنه لي شريك، ولا شريك له تعالى ذكره علوًّا كبيرًا، فلا تطعهما فيما أراداك عليه من الشرك بي، ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًاۖ﴾ يقول: وصاحبهما في الدنيا بالطاعة لهما فيما لا تبعة عليك فيه، فيما بينك وبين ربك ولا إثم.

وقوله: ﴿وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّۚ﴾ يقول: واسلك طريق من تاب من شركه، ورجع إلى الإسلام، واتبع محمدا ﷺ.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝١٥﴾؟

ج: قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ أيضًا:

وقوله: ﴿إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ فإن إليّ مصيركم ومعادكم بعد مماتكم، فأخبركم بجميع ما كنتم في الدنيا تعملون من خير وشرّ، ثم أجازيكم على أعمالكم، المحسن منكم بإحسانه والمسيء بإساءته.

فإن قال لنا قائل: ما وجه اعتراض هذا الكلام بين الخبر عن وصيتي لقمان ابنه؟ قيل: ذلك أيضا وإن كان خبرا من الله تعالى ذكره عن وصيته عباده به، وأنه إنما أوصى به لقمان ابنه، فكان معنى الكلام: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ ولا تطع في الشرك به والديك ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًاۖ﴾ فإن الله وصّى بهما، فاستؤنف الكلام على وجه الخبر من الله، وفيه هذا المعنى، فذلك وجه اعتراض ذلك بين الخبرين عن وصيته.

❁ ❁ ❁

تعليم الابن مراقبة الله ﷻ

س: وضح معنى قول لقمان لابنه: ﴿يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ ١٦﴾.

ج: أما المراد بقوله: ﴿إِنَّهَآ﴾.

فقد قال بعض أهل العلم: إن المراد بقوله: ﴿إِنَّهَآ﴾ أي: الخطيئة أو المعصية.

وقول ثانٍ: إن المراد الشيء المعمول خيرًا كان أو شرًّا.

وقول ثالث: إن المراد الرزق المقدر.

والمراد بالصخرة في قوله تعالى: ﴿إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ﴾:

قال بعض أهل العلم: إن المراد بالصخرة، صخرةٌ تحمل عليها الأرض كلها، وهذا القول قال به عدد من العلماء، لكن لا أعلم عليه دليلًا من الكتاب ولا من السُّنة الصحيحة.

ومن ثَمَّ قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقد زعم بعضهم أن المراد بقوله: ﴿فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ﴾ أنها صخرة تحت الأرضين السبع.

ثم قال:

وهذا -والله أعلم- كأنه متلقى من الإسرائيليات التي لا تصدق، ولا تكذب، والظاهر - والله أعلم - أن المراد: أن هذه الحبة في حقارتها لو كانت

داخل صخرة، فإن الله سيبديها ويظهرها بلطيف علمه.

فيوصي لقمان ولده ويعلمه ويذكره بمراقبة الله ﷻ قائلًا:

يا بني إن ما تعمله من خير أو شرٍّ مهما كان صغيرًا، وإن كان صغيرًا في وزن حبة الخردل، وكذلك إن كنت أسررته، وعملته في مكان خفيٍّ، وبالغت في إخفائه، فسواء عملته وأنت في صخرةٍ قد أحاطت بك من جميع جوانبها، فلم يرك أحدٌ من الخلق، أو عملتها في أيِّ مكان في السماوات أو في أي مكان في الأرض، يأتِ بها الله يوم القيامة، وتوزن لك في ميزان حسناتك، إن كانت حسنة، أو في كفة السيئات إن كانت سيئة، كما قال الله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَـٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧]، وكما قال تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧، ٨].

وكما قال سبحانه: ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَـٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَـٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَـٰذَا ٱلْكِتَـٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩].

وفي هذا تعليم الوالد ولده مراقبة الله ﷻ، وتذكيره بأن الله يراه حتى يعمل صالحًا.

هذا؛ وهناك قول آخر في الآية الكريمة:

حاصله أن قوله: ﴿إِنَّهَآ﴾ المراد به الرزق، فيكون المعنى: يا بني إن الرزق الذي كتب لك سيأتيك في أي مكان من أي مكان مادام قد قُدِّر لك، وهذا وإن كان صحيحًا، إلا أن القول الأول عليه أكثر العلماء في تفسير الآية الكريمة، والله تعالى أعلم.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذه وصايا نافعة قد حكاها الله تعالى عن لقمان الحكيم؛ ليمتثلها الناس ويقتدوا بها، فقال: ﴿ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ ﴾ أي: إن المظلمة أو الخطيئة لو كانت مثقال حبة خردل. وجوَّز بعضهم أن يكون الضمير في قوله: ﴿إِنَّهَآ﴾ ضمير الشأن والقصة. وجوَّز على هذا رفع ﴿مِثۡقَالَ﴾ والأول أولى.

وقوله: ﴿يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ﴾ أي: أحضرها الله يوم القيامة حين يضع الموازين القسط، وجازى عليها إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشرٌّ. كما قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗاۖ وَإِن كَانَ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٍ أَتَيۡنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧]، وقال تعالى: ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة:٧، ٨]، ولو كانت تلك الذرة محصنة محجبة في داخل صخرة صمَّاء، أو غائبة ذاهبة في أرجاء السموات أو الأرض فإن الله يأتي بها؛ لأنه لا تخفى عليه خافية، ولا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض؛ ولهذا قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ﴾ أي: لطيف العلم، فلا تخفى عليه الأشياء وإن دَقت ولطفت وتضاءلت ﴿خَبِيرٞ﴾ بدبيب النمل في الليل البهيم.

وقال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

وعني بقوله: ﴿مِثۡقَالَ حَبَّةٖ﴾ : زنة حبة. فتأويل الكلام إذن: إن الأمر إن تك زنة حبة من خردل من خير أو شرّ عملته، فتكن في صخرة، أو في السموات، أو في الأرض، يأت بها الله يوم القيامة، حتى يوفيك جزاءه.

❁ ❁ ❁

الأمر بالصلاة وبيان فضلها والحث عليها

س: وضح معنى قول لقمان لولده: ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ مع ذِكر شيء من أهمية الصلاة والحث عليها.

ج: قوله: ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ أي: حافظ عليها وداوم على فعلها وأدائها في أوقاتها وأحسن قيامها وركوعها وسجودها وسائر أركانها.

وحقٌّ ما قاله لقمان لولده، فإن الصلاة عماد الدين وركن الإسلام العظيم – بعد الشهادتين –.

قال رسول الله ﷺ: «بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ ...»(١).

وإنها أولُ ما يُحاسب عليه العبد يوم القيامة:

قال ﷺ: «أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»(٢).

إنها تمحو – بإذن الله – الخطايا والذنوب:

قال ﷺ: «الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ يَمْحُو اللهُ بِهِنَّ الْخَطَايَا»(٣).

لقد كانت ولا تزال وستزال شعارًا للصالحين:

لقد قال الخليل إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾ [إبراهيم: ٤٠].

لقد قال الله ﷻ لموسى عليه السلام: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ﴾ [طه: ١٤].

وقال له ولأخيه هارون عليهما السلام: ﴿وَٱجْعَلُواْ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [يونس: ٨٧].

---

(١) البخاري حديث (٨)، ومسلم (١٦).

(٢) **صحيح لشواهده:** أخرجه أحمد (٤/ ١٠٣) وغيره.

(٣) البخاري (٥٢٨)، ومسلم (٦٦٧).

وقال قوم شعيب لشعيب عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْ﴾ [هود: ٨٧].

قال عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ [مريم: ٣١].

وطائفة من الأنبياء ذكرهم الله في كتابه وقال: ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّواْ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩﴾ [مريم: ٥٨].

وأصحاب رسولنا الكريم – عليهم رضوان الله –: ﴿تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾ [الفتح: ٢٩].

وفي الجملة: ففضائل الصلاة لا تُحصى والأوامر بها لا تكاد تنتهي، والوصية بها تكاثرت وتعددت وتنوعت، والتحذير من تركها توارد من عدة وجوه.

فمن ثمَّ أوصى لقمان ولده بها، وأكَّد عليها غايةَ التأكيد، ولا عذر لمسلم بالغ في تركها مادام عاقلًا أو كانت المرأة حائضًا أو نفساء.

لا تترك الصلاة في سفر ولا في حضرٍ، ولا في صحةٍ ولا في مرضٍ، ولا في شدةٍ ولا في رخاءٍ.

❁ ❁ ❁

شيءٌ من الوارد في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

س: وضح معنى قول لقمان لولده ﴿وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ مع ذكر بعض الوارد في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ج: هذا يشمل كلَّ معروفٍ وكل منكرٍ، ولا يتعدى الشخص إذ قال: إن الرسل – عليهم صلوات الله وسلامه – بُعثوا لذلك، فقد بُعثت الرسل آمرة بتوحيد الله ﷻ، ناهية عن الشرك به، وأعظم معروف بلا شك هو توحيد الله

ﷻ، وأقبح المنكرات على الإطلاق هو الشرك بالله ﷻ.

ولقد قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

ولقد نالت أمة محمد ﷺ الفلاح وكتبت لها الخيرية على سائر الأمم، لإيمانها بالله ﷻ، وأمرها بالمعروف ونهيها عن المنكر:

قال الله تبارك وتعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

وقال تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

إن النهي عن المنكر سببٌ من أسباب السلامة والنجاة:

قال الله تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ﴾ [هود: ١١٦].

ولقد ذكر الله سبحانه وتعالى القرية التي كانت حاضرة البحر، تلك التي اعتدى أهلها في السبت، وبيَّن الله سبحانه وتعالى أن الذين نجَوْا هم الناهون عن المنكر.

قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٥].

وفي الحديث[(١)] عن رسول الله ﷺ: «**مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا،**

(١) البخاري (٢٤٩٣).

كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلاهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا، فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا وَنَجَوْا جَمِيعًا».

إنه سبيل أهل الصلاح المنيبين إلى الله تعالى:

قال الله سبحانه: ﴿ لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَٰئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ [آل عمران: ١١٣، ١١٤].

وسبيل أهل الإيمان:

قال الله تعالى: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾ [التوبة: ٧١].

وسبيل الذين باعوا أنفسهم لله ﷻ:

قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ ﴾ [التوبة: ١١١] إلى قوله تعالى: ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [التوبة: ١١٢].

ثم إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كفارة للذنوب والخطايا:

قال ﷺ: «فِتْنَةُ الرَّجُلِ فِي أَهْلِهِ وَمَالِهِ وَوَلَدِهِ وَجَارِهِ تُكَفِّرُهَا الصَّلَاةُ وَالصَّوْمُ وَالصَّدَقَةُ وَالْأَمْرُ وَالنَّهْيُ»(١).

وكذلك فإنه صدقة على البدن:

(١) البخاري (مع الفتح / ٢/ ٥٢٥)، ومسلم (١٤٤).

فقد ذكر النبي ﷺ الصدقات التي على ابن آدم، وقال: «وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ وَنَهْيٌ عَنِ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ»(١).

ولقد حثَّ النبيُّ ﷺ على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

فقال: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ»(٢).

ويزداد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تأكيدًا على أهل العلم:

قال تعالى: ﴿لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾ [المائدة: ٦٣].

❃ ❃ ❃

س: ما وجه اتباع قوله تعالى: ﴿وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ بقوله تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ﴾؟

ج: وجه هذا، والله أعلم أن العادة قد جرت بأن الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر كثيرًا ما يتعرض لأذى من أهل الشر والفساد، وذلك لكونه ينهاهم عن غيِّهم، ويمنعهم من المحرمات التي يريدون مواقعتها، ومن الشهوات التي يريدون قضاءها، ومن أكل أموال الناس بالباطل، وغير ذلك من المحرمات التي ركبوها ودأبوا على فعلها، فمن ثَمَّ لا يرضيهم صنيع المعارض لهم، ولا صنيع من يأمرهم وينهاهم فيقدمون له صنوف الأذى حتى يتركهم ويُخلِّي بينهم وبين ما يريدون من صور الإفساد في الأرض، فحينئذٍ يثبت الله ﷻ أقوامًا على طاعته وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،

(١) مسلم بنحوه (١٠٠٦، ١٠٠٧).
(٢) مسلم حديث (٤٩).

وآخرون يتركون ذلك خوفًا من الناس ومن بطشهم.

فيوصي لقمان ولده بالصبر على الأذى وتحمل البلاء والمضي قُدُمًا في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والاستمرار في ذلك.

ومثل هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾.

فالتواصي بالحق أحيانًا يتبعه بلاء، فمن ثَمَّ لزم التواصي بالصبر.

هذا؛ ولا يمنع أن يكون قوله: ﴿وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ﴾ عامًّا في كل ما يتعرض له الشخص من البلاء، بلاءً كان في الجسد أو في المال أو في الولد، أو غير ذلك من صور الابتلاءات التي تستلزم صبرًا وتقتضيه.

❁ ❁ ❁

شيءٌ من فضل الصبر

س: النصوص الواردة في فضل الصبر والحثِّ عليه وبيان ما أُعد لأهله من الأجر كثيرة جدًّا اذكر بعضها.

ج: اجتزأ منها بالآتي:

قول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ [الزمر: ١٠].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾. [يوسف: ٩٠]

ولقد ذكر الله سبحانه وتعالى أن الإمامة تُنال بالصبر واليقين، قال تعالى: ﴿وَجَعَلۡنَا مِنۡهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا لَمَّا صَبَرُواْۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤].

وبيَّن – سبحانه – أنه أعدَّ للصابرين الغرف وهي في أعالي الجنان:

قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوۡنَ فِيهَا تَحِيَّةٗ وَسَلَٰمًا

﴿٧٥﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ حَسُنَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا ﴾ [الفرقان: ٧٥، ٧٦].

وقال – سبحانه – مُبينًا فضيلة من صبر:

﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴾ [الشورى: ٤٣].

وبيَّن – سبحانه – أنه يحب الصابرين:

فقال: ﴿ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤٦].

ووردت الأوامر بالصبر والحثِّ عليه:

في قوله تعالى: ﴿ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [الأنفال: ٤٦].

وقال تعالى: ﴿ وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ ﴾ [النحل: ١٢٧].

وقال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ ﴾ [البقرة: ١٥٣].

وقال سبحانه: ﴿ وَٱلۡعَصۡرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ﴾ [العصر: ١-٣].

وقوله سبحانه: ﴿ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡمَرۡحَمَةِ ﴾ [البلد: ١٧].

وفي «الصحيحين»(١) من حديث أبي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه: «أَنَّ أُنَاسًا مِنْ الْأَنْصَارِ سَأَلُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَلَمْ يَسْأَلْهُ أَحَدٌ مِنْهُمْ إِلَّا أَعْطَاهُ حَتَّى نَفِدَ مَا عِنْدَهُ، فَقَالَ لَهُمْ حِينَ نَفِدَ كُلُّ شَيْءٍ أَنْفَقَ بِيَدَيْهِ: «مَا يَكُنْ عِنْدِي مِنْ خَيْرٍ لَا أَدَّخِرْهُ عَنْكُمْ، وَإِنَّهُ مَنْ يَسْتَعِفَّ يُعِفَّهُ اللهُ، وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللهُ، وَلَنْ تُعْطَوْا عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ».

وصحَّ عن النبي ﷺ أنه قال: «وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ»(٢).

ووردت نصوص كثيرة في فضل الصبر على الأذى والصبر في الجهاد،

(١) البخاري (٦٤٧٠)، ومسلم (١٠٥٣).
(٢) مسلم (٢٢٣).

والصبر على المرض، وعلى فقدان البصر، وعلى جهالات الناس وحماقاتهم، والصبر على أمراء الجور، والصبر عند الصدمة الأولى، وغير ذلك.

فنسأل الله أن يُصبرنا وأن يحفظ علينا إيماننا.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾﴾.

ج: المعنى – والله أعلم –: أن ذلك من الأمور التي أمر الله ﷻ بها وأكَّد على فعلها.

❁ ❁ ❁

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾﴾.

ج: قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير الآيات إجمالًا:

يقول تعالى ذكره مخبرًا عن قيل لقمان لابنه: ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ بحدودها ﴿وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ يقول: وأمر الناس بطاعة الله، واتباع أمره ﴿وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ يقول: وانه الناس عن معاصي الله ومواقعة محارمه ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ﴾ يقول: واصبر على ما أصابك من الناس في ذات الله، إذا أنت أمرتهم بالمعروف، ونهيتهم عن المنكر، ولا يصدّنك عن ذلك ما نالك منهم ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ يقول: إن ذلك مما أمر الله به من الأمور عزمًا منه.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم قال: ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ أي: بحدودها وفروضها وأوقاتها، ﴿وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ أي: بحسب طاقتك وجهدك، ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ﴾،

اعلم أن الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر، لا بد أن يناله من الناس أذى، فأمره بالصبر.

وقوله: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ﴾ أي: إن الصبر على أذى الناس لمن عزم الأمور.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ وصَّى ابنه بعظم الطاعات وهي الصلاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهذا إنما يريد به بعد أن يمتثل ذلك هو في نفسه ويزدجر عن المنكر وهنا هي الطاعات والفضائل أجمع ولقد أحسن من قال:

وابدأ بنفسك فانهها عن غيِّها فإذا انتهت عنه فأنت حكيم

الثانية: قوله تعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ﴾ يقتضي على تغيير المنكر وإن نالك ضرر فهو إشعار بأن المغير يؤذى أحيانًا وهذا القدر على جهة الندب والقوة في ذات الله وأما على اللزوم فلا وقد مضى الكلام في هذا مستوفى في آل عمران والمائدة وقيل: أمره بالصبر على شدائد الدنيا كالأمراض وغيرها وألا يخرج من الجزع إلى المعصية الله ٥ وهذا قول حسن لأنه يعمُّ.

الثالثة: قوله تعالى: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ﴾ قال ابن عباس: من حقيقة الإيمان الصبر على المكاره وقيل: إن إقامة الصلاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من عزم الأمور أي مما عزمه الله وأمر به قاله ابن جريج: ويحتمل أن يريد أن ذلك من مكارم الأخلاق وعزائم أهل الحزم السالكين طريق النجاة وقول ابن جريج أصوب.

وقال القاسمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ أي : بحدودها وفروضها وأوقاتها ، لتكميل نفسك بعبادة ربك : ﴿وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ﴾ لتكميل غيرك : ﴿وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ﴾ أي : من المحن والبلايا ، أو فيما أمرت به من الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ؛ لأن الداعي إلى الحق معرّض لإيصال الأذى إليه ، وهو أظهر . ويطابقه آية : ﴿وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾ [العصر : ٣] ، ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى الصبر ، أو إلى كل ما أمر به : ﴿مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ﴾ أي : مما عزمه الله من الأمور ، أي : قطعه قطع إيجاب .

❁ ❁ ❁

الحثُّ على التواضع

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ ﴿١٨﴾ ﴾.

ج: يواصل لقمان رضي الله عنه نصحه وتذكيره لولده، ويُعلِّمه طرائق التعامل والتحادث مع الناس، ويؤدّبه بجملة من الآداب:

فيقول له: ﴿ وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ ﴾ أي: لا تُعرض بوجهك عن الناس وهم يحدثونك، بل أقبل عليهم وابتسم في وجوههم، ولا تلوِ عنقك عنهم، فإن هذا من شيم المتكبرين وأخلاقهم.

كما قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ﴿٨﴾ ثَانِيَ عِطۡفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۖ ﴾ [الحج: ٨، ٩] أي: لاوي عنقه تكبُّرًا على الناس وتعاليًا عليهم، وكبرًا وازدراءً.

ويقول له كذلك: ﴿وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ﴾ ينهاه عن المشي في الأرض باختيال وتكبر وتجبر؛ وذلك لأن الله عز وجل لا يحب المختال في مشيته الفخور

على الناس المتكبر عليهم.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [لقمان: ١٨].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾ يقول: لا تُعرِضْ بوجهك عن الناس إذا كلمتهم أو كلموك، احتقارًا منك لهم، واستكبارًا عليهم ولكن أَلِنْ جانبك، وابسط وجهك إليهم، كما جاء في الحديث: «**ولو أن تلقى أخاك ووجهك إليه مُنْبَسِط، وإياك وإسبال الإزار فإنها من المخيلَة، والمخيلة لا يحبها الله**».

وقوله: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا﴾ أي: جذلا متكبرًا جبارًا عنيدًا، لا تفعل ذلك يبغضك الله؛ ولهذا قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ أي: مختال معجب في نفسه، فخور: أي على غيره، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا﴾ [الإسراء: ٣٧]، وقد تقدم الكلام على ذلك في موضعه.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

معنى الآية: ولا تمل خدك للناس كبرًا عليهم وإعجابًا واحتقارًا لهم وهذا تأويل ابن عباس وجماعة وقيل: هو أن تلوي شدقك إذا ذكر عندك كأنك تحتقره فالمعنى: أقبل عليهم متواضعًا مؤنسًا مستأنسًا وإذا حدَّثك أصغرهم فاصغ إليه حتى يكتمل حديثه وكذلك كان النبي ﷺ يفعل.

قلت (القرطبي): ومن هذا المعنى ما رواه مالك عن ابن شهاب عن أنس ابن مالك أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانًا ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام**» فالتدابر: الإعراض وترك الكلام والسلام ونحوه وإنما قيل للإعراض تدابر لأن من

أبغضته أعرضت عنه ووليته دبرك وكذلك يصنع هو بك ومن أحببته أقبلت عليه بوجهك وواجهته لتسرَّه ويسرُّك فمعنى التدابر موجود فيمن صعَّر خده وبه فسر مجاهد الآية وقال ابن خويز منداد : قوله : ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ ﴾ كأنه نهى أن يذل الإنسان نفسه من غير حاجة.

وقال القرطبي أيضًا:

﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾ أي متبخترًا متكبرًا مصدر في موضع الحال وقد مضى في سبحان وهو النشاط والمشي فرحًا في غير شغل وفي غير حاجة وأهل هذا الخلق ملازمون للفخر والخيلاء فالمرح مختال في مشيته.

قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى : ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ ﴾ .

معناه: لا تتكبر على الناس. ففي الآية نهي عن التكبر على الناس، والصعر الميل، والمتكبر يميل وجهه عن الناس، متكبرًا عليهم، معرضًا عنهم، والصعر الميل وأصله: داء يصيب البعير يلوي منه عنقه، ويُطلق على المتكبر يلوي عنقه، ويميل خده عن الناس تكبرًا عليهم، ومنه قول عمرو بن حُنَيٍّ التغلبي:

وكنا إذا الجبار صعّر خده ... أقمنا له من ميله فتقوّما

وقول أبي طالب :

وكنا قديمًا لا نقر ظلامة ... إذا ما ثنوا صعر الرؤوس نقيمها

ومن إطلاق الصعر على الميل قول النمر بن تولب العلكي :

إنا أتيناك وقد طال السفر ... نقود خيلًا ضمرًا فيها صعر

وإذا علمت أن معنى قوله: ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ ﴾ لا تتكبر عليهم .

فاعلم أنا قدمنا في سورة الأعراف في الكلام على قوله تعالى : ﴿فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾ [الأعراف : ١٣] الآيات القرآنية الدالة على التحذير من الكبر المبينة لكثرة عواقبه السيئة ، وأوضحنا ذلك مع بعض الآيات الدالة على حسن التواضع ، وثناء الله على المتواضعين.

❁ ❁ ❁

بعض الوارد في الحث على التواضع

س: قد وردت في الحثِّ على التواضع والأمر به نصوص كثيرة اذكر بعضها.

ج: من هذه النصوص ما يلي:

ما ثبت عند مسلم(١) من حديث عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ رضي الله عنه أَنَّه قَامَ فِينَا رَسُولُ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ خطيبًا فقَالَ: «وَإِنَّ اللهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ وَلَا يَبْغِ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ».

ولقد صحَّ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللهُ»(٢).

وقال الله تبارك وتعالى: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص: ٨٣].

❁ ❁ ❁

ذمُّ الكبر والاختيال

س: وردت عدة نصوص في ذم الكبر والاختيال اذكر بعضها.

ج: من ذلك ما يلي:

قول الله تبارك وتعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ [الأعراف: ١٤٦].

وأخرج مسلم(٣) في «صحيحه» من حديث عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ» قَالَ رَجُلٌ:

---

(١) مسلم (٢١٩٨).

هذا؛ وقد اجتزأت باليسير الذي ذُكر، وإلا فالباب واسع جدًّا، والنصوص فيه كثيرة متعددة.

(٢) مسلم (٢٥٨٨).

(٣) مسلم (٩١).

إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً، قَالَ: «إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ[١] وَغَمْطُ النَّاسِ»[٢].

وصحَّ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لَا يَنْظُرُ اللهُ إِلَى مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خُيَلَاءَ»[٣].

وصحَّ عنه أيضًا أنه قال: «بَيْنَا رَجُلٌ يَجُرُّ إِزَارَهُ إِذْ خُسِفَ بِهِ فَهُوَ يَتَجَلَّلُ فِي الْأَرْضِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»[٤].

وصحَّ عنه أيضًا أنه قال: «بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي فِي حُلَّةٍ تُعْجِبُهُ نَفْسُهُ مُرَجِّلٌ جُمَّتَهُ؛ إِذْ خَسَفَ اللهُ بِهِ؛ فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»[٥].

❀ ❀ ❀

من أدب المشي

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ﴾.

ج: المعنى -والله أعلم-: تواضع في مشيك إذا مشيت وفي مسيرك إذا سرت، ولا تستكبر ولا تستعجل، ولا تسرع، بل اقتصد في المشي؛ ليكن المشي معتدلًا بين الإسراع والتباطؤ، لا مسرعًا تمشي فتختل، ولا متباطئًا كمشية المريض أو المتمارض.

وهذا كما قال تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا﴾ [الفرقان: ٦٣].

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

---

(١) بطر الحق: هو ردُّ الحق ودفعه وإنكاره كبرًا وتعاليًا وترفعًا وتجبرًا.

(٢) غمط الناس: المراد به: احتقارهم وازدراؤهم.

(٣) أخرجه البخاري (٥٧٨٣) من حديث ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا مرفوعًا.

(٤) أخرجه البخاري (٥٧٩٠).

(٥) البخاري (٥٧٨٩)، ومسلم (٢٠٨٨).

يقول: وتواضع في مشيك إذا مشيت ولا تستكبر ولا تستعجل ولكن اتئد.

وأورد عن قتادة بسندٍ حسن قال: «نهاه عن الخيلاء».

من أدب الحديث

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ١٩﴾.

ج: يعلم لقمان رضي الله عنه ولده طريقة التخاطب مع الناس فيأمره قائلًا: ﴿وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَۚ﴾ أي: واخفض صوتك فاجعله وسطًا أيضًا.

وعلَّل ذلك بقوله: ﴿إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾ أي: فلو كان في رفع الصوت مطلقًا (في كل وقت) خيرٌ لما اختصت به الحمير، بل الحمير صوتها أنكر الأصوات وأشر الأصوات وأقبح الأصوات، وليس لأهل الفضل والصلاح والخُلُق الكريم أن يتشبهوا بالحمير – عياذًا بالله –.

وأورد عن ابن زيد قال: «اخفض من صوتك».

وأورد عن قتادة كذلك بسندٍ حسن: ﴿إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾ أي: أقبح الأصوات لصوت الحمير أوَّله زفير وآخره شهيق، أمره بالاقتصاد في صوته.

❀ ❀ ❀

بعض الفوائد المستنبطة من موعظة لقمان لولده

س: اذكر بعض الفوائد المستنبطة من موعظة لقمان لولده.

ج: هذه طائفة من الفوائد المستنبطة من هذه الموعظة:

الأولى: بيان أن الله ﷻ هو صاحب الفضل، وأن كل ما بنا من نعم فمنه سبحانه وتعالى، فله النعمة، وله الفضل، وله الثناء الحسن.

فالحكيم حكمته من الله ﷻ، والعالم علمه من الله ﷻ، وذلك مأخوذٌ من قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ﴾ [لقمان: ١٢].

وكذلك ثَمَّ آيات أُخر يستدل بها في هذا الباب كقوله تعالى: ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ﴾ [البقرة: ٢٦٩]، وكقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ﴾ [النساء: ١١٣].

وكقول موسى عليه السلام للخضر: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ [الكهف: ٦٦].

فعلى كل عالم أن يدرك ذلك، وعلى كل عاقلٍ وحكيم أن يدرك ذلك، عليه أن يدرك أن ما به من نعمة فمن الله.

كما قال تعالى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣].

الثانية: وجوب شكر الله على نعمه وآلائه وفضله وإحسانه.

الثالثة: الثناء على الشخص الذي يُراد قبولُ قوله، وذلك حتى يلقى قولُه قبولًا، وذلك مأخوذ من الثناء على لقمان قبل ذكر موعظته لولده بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ﴾ [لقمان: ١٢].

الرابعة: استحباب وعظ الوالد لولده؛ وذلك من قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ﴾ [لقمان: ١٣] وعلى ذلك أدلة كثيرة أُخر:

منها: قول نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ لولده: ﴿يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [هود: ٤٢].

وكذا قول يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ لبنيه: ﴿يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٢].

وكذا وصية رسول الله ﷺ لابنته فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لما استشعر عليه الصلاة والسلام الموت:

أخرج البخاري ومسلم من حديث أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «إِنَّا كُنَّا أَزْوَاجَ النَّبِيِّ ﷺ عِنْدَهُ جَمِيعًا لَمْ تُغَادَرْ مِنَّا وَاحِدَةٌ، فَأَقْبَلَتْ فَاطِمَةُ عَلَيْهَا السَّلَامُ تَمْشِي لَا وَاللهِ مَا تَخْفَى مِشْيَتُهَا مِنْ مِشْيَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَلَمَّا رَآهَا رَحَّبَ قَالَ: «**مَرْحَبًا بِابْنَتِي**» ثُمَّ أَجْلَسَهَا عَنْ يَمِينِهِ -أَوْ عَنْ شِمَالِهِ- ثُمَّ سَارَّهَا فَبَكَتْ بُكَاءً شَدِيدًا، فَلَمَّا رَأَى حُزْنَهَا سَارَّهَا الثَّانِيَةَ فَإِذَا هِيَ تَضْحَكُ، فَقُلْتُ لَهَا أَنَا مِنْ بَيْنِ نِسَائِهِ: خَصَّكِ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالسِّرِّ مِنْ بَيْنِنَا، ثُمَّ أَنْتِ تَبْكِينَ فَلَمَّا قَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ سَأَلْتُهَا عَمَّا سَارَّكِ، قَالَتْ: مَا كُنْتُ لِأُفْشِيَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ سِرَّهُ، فَلَمَّا تُوُفِّيَ قُلْتُ لَهَا: عَزَمْتُ عَلَيْكِ بِمَا لِي عَلَيْكِ مِنَ الْحَقِّ لَمَّا أَخْبَرْتِنِي؟ قَالَتْ: أَمَّا الْآنَ فَنَعَمْ، فَأَخْبَرَتْنِي قَالَتْ: أَمَّا حِينَ سَارَّنِي فِي الْأَمْرِ الْأَوَّلِ فَإِنَّهُ أَخْبَرَنِي أَنَّ جِبْرِيلَ كَانَ يُعَارِضُهُ بِالْقُرْآنِ كُلَّ سَنَةٍ مَرَّةً وَإِنَّهُ قَدْ عَارَضَنِي بِهِ الْعَامَ مَرَّتَيْنِ، وَلَا أَرَى الْأَجَلَ إِلَّا قَدِ اقْتَرَبَ، فَاتَّقِي اللهَ وَاصْبِرِي، فَإِنِّي نِعْمَ السَّلَفُ أَنَا لَكِ، قَالَتْ: فَبَكَيْتُ بُكَائِي الَّذِي رَأَيْتِ، فَلَمَّا رَأَى جَزَعِي سَارَّنِي الثَّانِيَةَ. قَالَ: «**يَا فَاطِمَةُ أَلَا تَرْضَيْنَ أَنْ تَكُونِي سَيِّدَةَ نِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ أَوْ سَيِّدَةَ نِسَاءِ هَذِهِ الْأُمَّةِ**»[(١)].

---

(١) البخاري (مع الفتح/ ١١/ ٧٩)، ومسلم (مع النووي/ ١٦/ ٥).

قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: ﴿يَٰبُنَيَّ﴾ ليس هو على حقيقة التصغير، وإن كان على لفظه، إنما هو على الترقيق كما يُقال

الخامسة: بيان خطر الشرك، وأنه ظلمٌ عظيمٌ.

السادسة: الوصية بالوالدين والتنصيص على الأم بذكر فضلها، وما بذلته من جهدٍ لرعاية ولدها، وتقديم الشكر لهما.

وقد دلت على ذلك أدلة كثيرة من كتاب الله ﷻ، ومن سُنة رسول الله ﷺ:

قال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الأحقاف: ١٥].

وقال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ۚ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [العنكبوت: ٨].

وقال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾ [لقمان: ١٤].

فيأمر الله ﷻ في هذه الآية الكريمة بشكره وشكر الوالدين.

وفي معرض الثناء على الأنبياء ومدحهم يأتي الثناء عليهم لبرهم بوالديهم: قال الله – سبحانه – في شأن نبيه يحيى بن زكريا عليهما السلام: ﴿وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا﴾ [مريم: ١٤].

وهذا نبي الله عيسى عليه السلام يتكلم في المهد فيقول: ﴿إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا﴾ [مريم: ٣٠-٣٢].

السابعة: بيان مدة الرضاعة، وأنها سنتان، وبعد السنتين فالرضاعة لا

للرجل: يا أُخَيَّ، وللصبي هو (كويس).

تحرم.

هذا؛ وقد استنبط بعض العلماء من قوله تعالى: ﴿وَفِصَـٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ﴾ [لقمان: ١٤].

وقوله: ﴿وَحَمْلُهُۥ وَفِصَـٰلُهُۥ ثَلَـٰثُونَ شَهْرًا﴾ [الأحقاف: ١٥] أن أقلَّ مدة للحمل ستةُ أشهر، والله أعلم.

هذا؛ ومما يؤكد أن الرضاعة المحرمة إنما هي الرضاعة في الصغر والغلام دون الحولين ما يلي:

قول الله سبحانه: ﴿۞ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَـٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ﴾ [البقرة: ٢٣٣].

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير هذه الآية:

انتزع مالك - رحمه الله تعالى - ومن تابعه وجماعة من العلماء من هذه الآية أن الرضاعة المحرمة الجارية مجرى النسب إنما هي ما كان في الحولين؛ لأنه بانقضاء الحولين تمت الرضاعة ولا رضاعة بعد الحولين معتبرة، هذا قوله في «موطئه»(١).

وعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا(٢) أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ عَلَيْهَا وَعِنْدَهَا رَجُلٌ، فَكَأَنَّهُ تَغَيَّرَ وَجْهُهُ، كَأَنَّهُ كَرِهَ ذَلِكَ فَقَالَتْ: إِنَّهُ أَخِي، فَقَالَ: «انْظُرْنَ مَنْ إِخْوَانُكُنَّ(٣) فَإِنَّمَا

(١) لفظ مالك في «الموطأ» (ص ٦٠٤) في النسخة التي بين أيدينا: الرضاعة قليلها وكثيرها تُحرّم، فأما ما كان بعد الحولين فإن قليله وكثيره لا يُحرّم شيئًا، وإنما هو بمنزلة الطعام.

(٢) البخاري (٥١٠٢)، ومسلم (١٤٥٥).

(٣) قال الحافظ في «الفتح» (٩/ ١٤٨):
تَأَمَّلْن مَا وَقَعَ مِنْ ذَلِكَ هَلْ هُوَ رَضَاع صَحِيح بِشَرْطِهِ: مِنْ وُقُوعه فِي زَمَن الرَّضَاعَة، وَمِقْدَار الارْتِضَاع فَإِنَّ الْحُكْم الَّذِي يَنْشَأ مِنَ الرَّضَاع إِنَّمَا يَكُون إِذَا وَقَعَ الرَّضَاع الْمُشْتَرَط.

الرَّضَاعَةُ مِنَ الْمَجَاعَةِ».

وأخرج الترمذي بسندٍ صحيح من حديث أُمِّ سَلَمَةَ ﵂ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا يُحَرِّمُ مِنَ الرِّضَاعَةِ إِلَّا مَا فَتَقَ الْأَمْعَاءَ فِي الثَّدْيِ وَكَانَ قَبْلَ الْفِطَامِ**»(١).

وأخرج عبد الرزاق بسندٍ صحيحٍ عن أبي عطية الوادعى قال: جاء رجل إلى ابن مسعود فقال: إنها كانت معى امرأتى فحُصر لبنها فى ثديها، فجعلت أمصه ثم أمجُّه، فأتيت أبا موسى الأشعرى فسألته فقال: حرمت عليك، قال:

قَالَ الْمُهَلَّب : مَعْنَاهُ انْظُرْنَ مَا سَبَب هَذِهِ الْأُخُوَّة ، فَإِنَّ حُرْمَة الرَّضَاع إِنَّمَا هِيَ فِي الصِّغَر حَتَّى تَسُدّ الرَّضَاعَة الْمَجَاعَة .

وَقَالَ أَبُو عُبَيْد : مَعْنَاهُ أَنَّ الَّذِي جَاعَ كَانَ طَعَامه الَّذِي يُشْبِعهُ اللَّبَن مِنَ الرَّضَاع لَا حَيْثُ يَكُون الْغِذَاء= = بِغَيْرِ الرَّضَاع .

قَوْله: (فَإِنَّمَا الرَّضَاعَة مِنْ الْمَجَاعَة) فِيهِ تَعْلِيل الْبَاعِث عَلَى إِمْعَان النَّظَر وَالْفِكْر؛ لِأَنَّ الرَّضَاعَة تُثْبِت النَّسَب وَتَجْعَل الرَّضِيع مُحَرَّمًا .

وَقَوْله «مِنَ الْمَجَاعَة» أَي الرَّضَاعَة الَّتِي تَثْبُت بِهَا الْحُرْمَة وَتَحِلّ بِهَا الْخَلْوَة هِيَ حَيْثُ يَكُون الرَّضِيع طِفْلًا لِسَدِّ اللَّبَن جَوْعَته؛ لِأَنَّ مَعِدَته ضَعِيفَة يَكْفِيهَا اللَّبَن وَيَنْبُت بِذَلِكَ لَحْمه فَيَصِير كَجُزْءٍ مِنَ الْمُرْضِعَة فَيَشْتَرِك فِي الْحُرْمَة مَعَ أَوْلَادهَا ، فَكَأَنَّهُ قَالَ: لَا رَضَاعَة مُعْتَبَرَة إِلَّا الْمُغْنِيَة عَنِ الْمَجَاعَة أَوْ الْمُطْعِمَة مِنَ الْمَجَاعَة ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ﴾.

وَمِنْ شَوَاهِده: حَدِيث ابْن مَسْعُود: «**لَا رَضَاع إِلَّا مَا شَدَّ الْعَظْم ، وَأَنْبَتَ اللَّحْم**» [أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ مَرْفُوعًا وَمَوْقُوفًا].

وَحَدِيث أُمّ سَلَمَة: «**لَا يُحَرِّم مِنَ الرَّضَاع إِلَّا مَا فَتَقَ الْأَمْعَاء**» [أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيّ وَصَحَّحَهُ] قاله الحافظ في «الفتح».

(١) الترمذي (١١٦٢ مع التحفة).

وَقَالَ الترمذي: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، وَالْعَمَلُ عَلَى هَذَا عِنْدَ أَكْثَرِ أَهْلِ الْعِلْمِ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ وَغَيْرِهِمْ، أَنَّ الرَّضَاعَةَ لَا تُحَرِّمُ إِلَّا مَا كَانَ دُونَ الْحَوْلَيْنِ، وَمَا كَانَ بَعْدَ الْحَوْلَيْنِ الْكَامِلَيْنِ فَإِنَّهُ لَا يُحَرِّمُ شَيْئًا.

فقام وقمنا معه حتى انتهى إلى أبي موسى، فقال: ما أفتيت هذا؟ فأخبره بالذي أفتاه. فقال ابن مسعود، وأخذ بيد الرجل: أرضيعًا ترى هذا؟ إنما الرضاع ما أنبت اللحم والدم، فقال أبو موسى: لا تسألوني عن شيء ما كان هذا الحَبْر بين أظهركم[(١)].

وأخرج سعيد بن منصور بسندٍ صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «لا رضاع إلا ما كان في الحولين»[(٢)].

وأخرج مالك[(٣)] بسند صحيح عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ دِينَارٍ أَنَّهُ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ وَأَنَا مَعَهُ عِنْدَ دَارِ الْقَضَاءِ، يَسْأَلُهُ عَنْ رَضَاعَةِ الْكَبِيرِ؟ فَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فَقَالَ: إِنِّي كَانَتْ لِي وَلِيدَةٌ[(٤)]، وَكُنْتُ أَطَؤُهَا، فَعَمَدَتِ امْرَأَتِي إِلَيْهَا فَأَرْضَعَتْهَا فَدَخَلْتُ عَلَيْهَا، فَقَالَتْ: دُونَكَ فَقَدْ وَاللهِ أَرْضَعْتُهَا، فَقَالَ عُمَرُ: أَوْجِعْهَا[(٥)] وَائْتِ جَارِيَتَكَ[(٦)] فَإِنَّمَا الرَّضَاعَةُ رَضَاعَةُ الصَّغِيرِ.

الثامنة: الإحسان إلى الوالدين الكافرين أيضًا، ومصاحبتهما بالمعروف في الدنيا، وإن كانا مشركين؛ لقوله تعالى: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ﴾ [لقمان: ١٥].

فمع عدم الطاعة فيما يدعوان إليه من الشرك هناك مصاحبة بالمعروف.

---

(١) «المصنف» (٧/ ٤٦٣).

(٢) سعيد بن منصور في «السنن» (٩٨٠).

(٣) «الموطأ» (ص ٦٠٦).

(٤) المراد بالوليدة: الأمة.

(٥) أوجعها: أي: اضربها ضربًا موجعًا.

(٦) وائت جاريتك: أي جامعها.

قال الله ﷻ: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ۝٨ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الممتحنة: ٨، ٩].

وأخرج البخاري ومسلم(١) من حديث أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنهما قَالَتْ: قَدِمَتْ أُمِّي وَهِيَ مُشْرِكَةٌ فِي عَهْدِ قُرَيْشٍ(٢) إِذْ عَاهَدُوا النَّبِيِّ ﷺ مَعَ ابْنِهَا فَاسْتَفْتَيْتُ النَّبِيّ ﷺ فَقُلْتُ: إِنَّ أُمِّي قَدِمَتْ وَهِيَ رَاغِبَةٌ(٣) أَفَأَصِلُهَا؟ قَالَ: «**نَعَمْ صِلِي أُمَّكِ**».

التاسعة: بيان أن الطاعة إنما تكون في المعروف، ولا طاعة لأحدٍ يأمر بمعصية الله أو بالشرك به، وعلى ذلك بعض الأدلة.

أخرج البخاري ومسلم(٤) من حديث عَلِيٍّ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَ جَيْشًا، وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ رَجُلًا فَأَوْقَدَ نَارًا وَقَالَ: ادْخُلُوهَا فَأَرَادُوا أَنْ يَدْخُلُوهَا. وَقَالَ آخَرُونَ: إِنَّمَا فَرَرْنَا مِنْهَا، فَذَكَرُوا لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ لِلَّذِينَ أَرَادُوا أَنْ يَدْخُلُوهَا: «**لَوْ دَخَلُوهَا، لَمْ يَزَالُوا فِيهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**». وَقَالَ لِلْآخَرِينَ: «**لا طَاعَةَ فِي مَعْصِيَةٍ إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ**»(٥).

---

(١) البخاري مع «الفتح» (٥/ ٢٣٣)، ومسلم (٣/ ٤١).

(٢) عند البخاري مع «الفتح» (٦/ ٢٨١)، في عهد قريش؛ إذ عاهدوا رسول الله ﷺ ومُدَّتهم، قال الحافظ «الفتح» (٥/ ٢٣٤): وأراد بذلك ما بين الحديبية والفتح.

(٣) في قوله: (راغبة): أقوال، والذي عليه الجمهور – كما نقله الحافظ في «الفتح» – أنها قدمت طالبة في بِرِّ ابنتها لها خائفة من ردِّها إيَّاها خائبة.

(٤) البخاري مع «الفتح» (١٣/ ٢٣٣)، ومسلم (١٨٤٠).

(٥) وصح عن النبي ﷺ كما في البخاري (١٣/ ١٢١) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما: «**السمع والطاعة على على المرء المسلم فيما أحب وكره ما لم يؤمر بمعصية، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة**». وقال الله ﷻ: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨].

وأخرج أحمد(١) بإسناد صحيح عَنْ حَنْظَلَةَ بْنِ خُوَيْلِدٍ الْعَنْبَرِيِّ قَالَ: بَيْنَمَا أَنَا عِنْدَ مُعَاوِيَةَ إِذْ جَاءَهُ رَجُلَانِ يَخْتَصِمَانِ فِي رَأْسِ عَمَّارٍ، يَقُولُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا: أَنَا قَتَلْتُهُ. فَقَالَ عَبْدُ اللهِ بنُ عَمْرٍو: لِيَطِبْ بِهِ أَحَدُكُمَا نَفْسًا لِصَاحِبِهِ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**تَقْتُلُهُ الْفِئَةُ الْبَاغِيَةُ**».

قَالَ مُعَاوِيَةُ: فَمَا بَالُكَ مَعَنَا. قَالَ: إِنَّ أَبِي شَكَانِي إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «**أَطِعْ أَبَاكَ مَا دَامَ حَيًّا وَلَا تَعْصِهِ**» فَأَنَا مَعَكُمْ وَلَسْتُ أُقَاتِلُ.

فعبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، وإن أطاع أباه لكون النبي ﷺ أوصاه بذلك فقال: «**أَطِعْ أَبَاكَ مَا دَامَ حَيًّا وَلَا تَعْصِهِ**»، إلا أنه لم يقاتل المسلمين، ولم يرفع سيفه عليهم – رضي الله عنه وأرضاه-.

وهذا مزيد من الأدلة في النهي عن تقليد الآباء فيما هم عليه من كفر وعصيان وبدعة ومنكر وضلال:

حيث إن هذا التقليد الأعمى سبيل أهل الكفر والضلال.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ ﴿٦٩﴾ فَهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ﴾ [الصافات: ٦٩، ٧٠].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٠].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ [لقمان: ٢١].

وقال تعالى: ﴿أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٢١﴾ بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾ وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ

(١) أحمد في «المسند» (٢/ ١٦٤، ١٦٥).

إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢١-٢٣].

العاشرة: الحث على سلوك سبيل أهل الفضل والصلاح.

الحادية عشرة: التذكير بالآخرة وبالمرجع والمآب، وذلك من قوله تعالى: ﴿إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ﴾.

الثانية عشرة: تعليم الأبناء مراقبة الله ﷻ، وأنه يراهم ويطلع عليهم، وعلى أعمالهم، وأنه سيوافيهم بها يوم القيامة.

الثالثة عشرة: بيان عظم شأن الصلاة، وعظم شأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والصبر عن الأذى.

الرابعةَ عشرةَ: التأدب عند مخاطبة الناس وعدم الإعراض بالوجه عنهم، والتأدب في المشي والنهي عن الاختيال والفخر.

الخامسة عشرة: في الآيات إثبات صفة المحبة لله ﷻ، وذلك من المفهوم المخالف في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾.

وفي الباب أدلة كثيرة كقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦]، ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤].

السادسة عشرة: بيان أدب السير في الطرقات.

السابعة عشرة: بيان أدب التخاطب والتحادث مع الناس، وفضيلة خفض الصوت بالقدر الذي يسمع من تحادثه.

الثامنة عشرة: جواز ضرب الأمثال بالحُمُر ونحوها للتنفير من خصالها، وبيان أنكر الأصوات، وقد قال رسول الله ﷺ: «**ليسَ لنَا مَثَلُ السَّوْءِ**».

التاسعة عشرة: مشروعية التذكير بقصص ومواعظ السابقين للاستفادة منها.

العشرون: بيان فضيلة لقمان رَحِمَهُ اللَّهُ ورضي عنه.

الحادية والعشرون: ذكر طائفة من أسماء الله الحسنى كالمغني، والحميد، واللطيف، والخبير.

فهذه بعض الفوائد، وثَمَّ فوائدُ أُخر يضيق المقام بذكرها.

وهذا كله من فضل الله عَزَّ وَجَلَّ، ثم من بركة هذا الكتاب العزيز فهو كتاب مبارك، كما وصفه الله تعالى؛ إذ قال: ﴿ وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ ﴾ [الأنبياء: ٥٠]، وكما قال: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ ﴾ [ص: ٢٩].

فنسأل الله أن ينفعنا، وأن يرفعنا بهذا الكتاب العزيز. وأن يجعله شاهدًا لنا لا علينا. وأن يشفعه فينا يوم نلقاه.

كما أسأله سبحانه وتعالى أن يدخلنا برحمته في عباده الصالحين، وأن يجعلنا مع الذي أنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحَسُن أولئك رفيقًا.

❁ ❁ ❁

قَالَ ٱللَّهِ تَعَالَىٰ:

﴿أَلَمۡ تَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَأَسۡبَغَ عَلَيۡكُمۡ نِعَمَهُۥ
ظَٰهِرَةٗ وَبَاطِنَةٗۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ
مُّنِيرٖ ٢٠ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ
أَوَلَوۡ كَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَدۡعُوهُمۡ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ٢١ ۞وَمَن يُسۡلِمۡ
وَجۡهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ
ٱلۡأُمُورِ ٢٢ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحۡزُنكَ كُفۡرُهُۥٓۚ إِلَيۡنَا مَرۡجِعُهُمۡ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْۚ
إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ٢٣ نُمَتِّعُهُمۡ قَلِيلٗا ثُمَّ نَضۡطَرُّهُمۡ إِلَىٰ عَذَابٍ
غَلِيظٖ ٢٤ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ قُلِ
ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٢٥ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّ ٱللَّهَ
هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ٢٦ وَلَوۡ أَنَّمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن شَجَرَةٍ أَقۡلَٰمٞ وَٱلۡبَحۡرُ يَمُدُّهُۥ
مِنۢ بَعۡدِهِۦ سَبۡعَةُ أَبۡحُرٖ مَّا نَفِدَتۡ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٢٧ مَّا
خَلۡقُكُمۡ وَلَا بَعۡثُكُمۡ إِلَّا كَنَفۡسٖ وَٰحِدَةٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ٢٨﴾
[لقمان: ٢٠-٢٨].

س: وضِّحْ معنى ما يلي:

﴿سَخَّرَ - وَأَسۡبَغَ - نِعَمَهُۥ - ظَٰهِرَةٗ - وَبَاطِنَةٗ - يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ - يُسۡلِمۡ وَجۡهَهُۥٓ - مُحۡسِنٞ - بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ - عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ - بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ - نَضۡطَرُّهُمۡ - أَقۡلَٰمٞ - نَفِدَتۡ - كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ﴾؟

ج:

الكلمة	معناها
﴿سَخَّرَ﴾	ذلَّل
﴿وَأَسۡبَغَ﴾	أتمَّ وأكمل
﴿نِعَمَهُۥ﴾	عموم النعم التي أنعم الله بها على العباد، ومنها نعمة الإسلام وقول لا إله إلا الله
﴿ظَٰهِرَةٗ﴾	ظاهرة للأعين، تُرى وتُحس
﴿وَبَاطِنَةٗ﴾	لا تراها الأعين
﴿يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ﴾	يخاصم في وحدانية الله – يقول: إن الله ليس وحده بل له شريك يُعبد معه
﴿يُسۡلِمۡ وَجۡهَهُۥٓ﴾	يستسلم وينقاد – يخلص عمله لله ولا يُراءي
﴿مُحۡسِنٞ﴾	موافق في عمله الكتاب والسنة
﴿بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ﴾	الحلقة التي تقود من تمسك بها إلى الجنة، ولا تنكسر ولا تنثني حتى يأخذ بيده من تمسك بها إلى الجنة. وقيل عهدٌ وميثاق وعد الله به من أسلم وأحسن في إسلامه

﴿عَـٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ﴾	مرجع الأمور- مردها يوم القيامة
﴿بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾	دواخل النفوس وأسرارها وما يُفكر الشخص به في عبادة ربِّه ﷻ
﴿نَضۡطَرُّهُمۡ﴾	نلجؤهم – نوردهم رغمًا عنهم
﴿أَقۡلَـٰمٌ﴾	جمع قلم (الأقلام المعروفة)
﴿نَفِدَتۡ﴾	انتهت
﴿كَلِمَـٰتُ ٱللَّهِ﴾	أوامر الله ونواهيه وعموم ما يتكلم به

❁ ❁ ❁

س: في قوله تعالى: ﴿نِعَمَهُۥ﴾ قراءتان وضحهما مع بيان معنيهما.

ج: القراءة الأولى: ﴿نِعَمَهُۥ﴾ بالجمع، والمراد بها عموم النعم التي أنعم الله بها على الخلق.

والثانية: ﴿نعمته﴾، وقال عدد من أهل العلم إن المراد به نعمة الإسلام.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

واختلفت القرّاء في قراءة ذلك، فقرأه بعض المكيين وعامة الكوفيين: ﴿وأسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَةً﴾ على الواحدة، ووجهوا معناها إلى أنه الإسلام، أو إلى أنها شهادة أن لا إله إلا الله. وقرأته عامة قرّاء المدينة والبصرة: ﴿نِعَمَهُۥ﴾ على الجماع، ووجَّهوا معنى ذلك، إلى أنها النعم التي سخرها الله للعباد مما في السموات والأرض، واستشهدوا لصحة قراءتهم ذلك كذلك بقوله: ﴿شَاكِرًا لِّأَنۡعُمِهِۚ﴾ [الأنعام: ١٢١] قالوا: فهذا جمع النعم.

والصواب من القول في ذلك عندنا أنهما قراءتان مشهورتان في قرّاء

الأمصار، متقاربتا المعنى، وذلك أن النعمة قد تكون بمعنى الواحدة، ومعنى الجماع، وقد يدخل في الجماع الواحدة. وقد قال جلّ ثناؤه: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ﴾ [إبراهيم: ٣٤] فمعلوم أنه لم يعن بذلك نعمة واحدة. وقال في موضع آخر: ﴿وَلَمۡ يَكُ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٢٠ شَاكِرٗا لِّأَنۡعُمِهِۚ﴾ [النحل: ١٢٠، ١٢١]، فجمعها، فبأيّ القراءتين قرأ القارئ ذلك فمصيب.

❀ ❀ ❀

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَأَسۡبَغَ عَلَيۡكُمۡ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةٗ وَبَاطِنَةٗۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ٢٠﴾.

ج: المعنى – والله أعلم-: ألم تروا يا بني آدم أن الله ﷻ سخر لكم وذلَّل لكم ما في السموات من شمس وقمر ونجوم وسحاب ورياح وغير ذلك، وكذا ما في الأرض من بحارٍ وجبال وأشجار وغير ذلك، وكل ذلك سخره لمنافعكم وراحتكم، وأتم عليكم نعمه وأكملها تلك النعم التي ترون بعضها ويخفى عليكم غيرها، ومع ذلك كله فمنكم من يجادل ويخاصم في وحدانية الله ويزعم أنه له شريك، وذلك منه بجهلٍ وبدون برهان ولا كتاب مضيء، أنزله الله.

وبنحو هذا قال العلماء.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ﴿أَلَمۡ تَرَوۡاْ﴾ أيها الناس ﴿أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ من شمس وقمر ونجم وسحاب ﴿وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ من دابة وشجر وماء وبحر وفلك،

وغير ذلك من المنافع، يجري ذلك كله لمنافعكم ومصالحكم، لغذائكم وأقواتكم وأرزاقكم وملاذّكم، تتمتعون ببعض ذلك كله، وتنتفعون بجميعه، ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾.

وقوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى﴾ يقول تعالى ذكره: ومن الناس من يخاصم في توحيد الله، وإخلاص الطاعة والعبادة له ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ عنده بما يخاصم، ﴿وَلَا هُدًى﴾: يقول: ولا بيان يبين به صحة ما يقول ﴿وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ﴾ يقول: ولا بتنزيل من الله جاء بما يدعي، يُبين حقية دعواه.

وأورد بسندٍ حسن عن قتادة: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ﴾ ليس معه من الله برهان ولا كتاب.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى منبهًا خلقه على نعمه عليهم في الدنيا والآخرة، بأنه سخر لهم ما في السموات من نجوم يستضيئون بها في ليلهم ونهارهم، وما يخلق فيها من سحاب وأمطار وثلج وبرد، وجعله إياها لهم سقفًا محفوظًا، وما خلق لهم في الأرض من قرار وأنهار وأشجار وزروع وثمار. وأسبغ عليهم نعمه الظاهرة والباطنة من إرسال الرسل وإنزال الكتب، وإزاحة الشبه والعلل، ثم مع هذا كله ما آمن الناس كلهم، بل منهم من يجادل في الله، أي: في توحيده وإرسال الرسل. ومجادلته في ذلك بغير علم، ولا مستند من حجة صحيحة، ولا كتاب مأثور صحيح؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ﴾ أي: مبين مضيء.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ ذكر نعمه

على بني آدم وأنه سخر لهم ما في السماوات من شمس وقمر ونجوم وملائكة تحوطهم وتجرُّ إليهم منافعهم وما في الأرض عامٌّ في الجبال والأشجار والثمار وما لا يحصى ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ﴾ أي: أكملها وأتمها وقرأ ابن عباس ويحيى ابن عمارة: وأصبغ بالصاد على بدلها من السين لأن حروف الاستعلاء تجتذب السين من سُفلها إلى علوها فتردها صادًا والنعم: مع نعمة كسدرة وسدر بفتح الدال وهي قراءة نافع و أبي عمرو و حفص الباقون: نعمة على الإفراد والإفراد يدل على الكثرة كقوله تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [إبراهيم: ٣٤] وهي قراءة ابن عباس من وجوهٍ صحاح وقيل: إن معناها الإسلام قال النبي ﷺ لابن عباس وقد سأله عن هذه الآية: «**الظاهرة الإسلام وما حسن من خُلُقك والباطنة ما ستر عليك من سيئ عملك**» النحاس: وشرح هذا أن سعيد بن جبير قال في قول الله ۵: ﴿يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ﴾ [المائدة: ٦] قال: يدخلكم الجنة وتمام نعمة الله ۵ على العبد أن يدخله الجنة فكذا لما كان الإسلام يؤول أمره إلى الجنة سُمِّي نعمة وقيل: الظاهرة الصحة وكمال الخلق والباطنة المعرفة والعقل وقال المحاسبي: الظاهرة نعم الدنيا والباطنة نعم العقبى وقيل: الظاهرة ما يُرى بالأبصار من المال والجاه والجمال في الناس وتوفيق الطاعات والباطنة ما يجده المرء في نفسه من العلم بالله وحسن اليقين وما يدفع الله تعالى عن العبد من الآفات وقد سرد الماوردي في هذا أقوالًا تسعة كلها ترجع إلى هذا.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿يُجَٰدِلُ﴾ يخاصم ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ أي: بغير حُجة ﴿وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ﴾ أي نيِّرٌ بين إلا الشيطان فما يلقى إليهم ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ﴾

[الأنعام: ١٢١] وإلا تقليد الأسلاف كما في الآية بعد ﴿أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾ يتبعونه.

❀ ❀ ❀

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٢١﴾﴾.

ج: المعنى – والله تعالى أعلم-: وإذا قيل لأهل الشرك والكفر، وعبدة الأوثان والأصنام، اتبعوا القرآن الذي أنزل الله على نبيه محمدٍ ﷺ ذلكم الذي يدعوكم الله فيه إلى عبادة الله وحده وترك عبادة ما سواه، الذي يدعو إلى كل خير وينهى عن كل شرٍّ ويخبر بكل صدق، قالوا: بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا فإنهم كانوا على حقٍّ وهدى، فقل لهؤلاء: أولو كان آباؤكم على الباطل، وكان الشيطان يدعوهم بتزيينه الكفر والمعاصي لهم إلى عذاب النار المستعرة، أكنتم أيضًا تتبعونهم؟!!

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: وإذا قيل لهؤلاء الذين يجادلون في توحيد الله جهلاً منهم بعظمة الله اتبعوا أيها القوم ما أنزل الله على رسوله، وصدِّقوا به، فإنه يفرق بين المحقّ منا والمبطل، ويفصل بين الضّالّ والمهتدى، فقالوا: بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا من الأديان، فإنهم كانوا أهل حقّ، قال الله تعالى ذكره: ﴿أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ﴾ بتزيينه لهم سوء أعمالهم، واتباعهم إياه على ضلالتهم، وكفرهم بالله، وتركهم اتباع ما أنزل الله من كتابه على نبيه ﴿إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾ يعني: عذاب النار التي تتسعر وتلتهب.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ﴾ أي: لهؤلاء المجادلين في توحيد الله: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾ أي: على رسوله من الشرائع المطهرة، ﴿قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ﴾ أي: لم يكن لهم حجة إلا اتباع الآباء الأقدمين، قال الله: ﴿أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ [البقرة: ١٧٠] أي: فما ظنكم أيها المحتجون بصنيع آبائهم، أنهم كانوا على ضلالة وأنتم خلف لهم فيما كانوا فيه؛ ولهذا قال: ﴿أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ .

❀ ❀ ❀

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ ۞ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢٢﴾ ﴾؟

ج: المعنى – والله تعالى أعلم –: ومن يخلص نيته لله ويقبل على الله ممتثلًا أمره، مجتنبًا نهيه، عاملًا بما أمر، تاركًا ما عنه نهي، فقد تمسك بحلقة متينة يُقاد بها إلى الجنة، لا تنكسر تلك الحلقة ولا تنثني حتى تدخله الجنة، وكذا فإن له عهدًا موثقًا من الله أن يدخله الجنة وإلى الله مرجع الأمور ومردها، وسيسأل كل عبدٍ عما صنع ويُجازي كل عاملٍ بما عمل.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ومن يُعبِّد وجهه متذللًا بالعبودة، مقرًّا له بالألوهة ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾ يقول: وهو مطيع لله في أمره ونهيه، ﴿فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ﴾ يقول: فقد تمسك بالطرف الأوثق الذي لا يخاف انقطاعه من تمسك به، وهذا مثل، وإنما يعني بذلك: أنه قد تمسك من رضا الله بإسلامه وجهه إليه وهو محسن، ما لا يخاف معه عذاب الله يوم القيامة.

وقوله: ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ﴾ يقول: وإلى الله مرجع عاقبة كلّ أمر خيره وشرّه، وهو المسائل أهله عنه، ومجازيهم عليه.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى مخبراً عمن أسلم وجهه لله، أي: أخلص له العمل وانقاد لأمره واتبع شرعه؛ ولهذا قال: ﴿وَهُوَ مُحۡسِنٞ﴾ أي: في عمله، باتباع ما به أمر، وترك ما عنه زجر، ﴿فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰۗ﴾ أي: فقد أخذ موثقًا من الله متينًا أنه لا يُعذبه، ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ﴾.

❊ ❊ ❊

س: كيف يفهم قوله تعالى: ﴿وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحۡزُنكَ كُفۡرُهُۥٓۚ﴾ والنفس مجبولة على أنها تحب من أسلم وتسعد لإسلامه وتحزن إذا ارتد مرتدٌّ واستمر الكافر على كفره؟

ج: المراد – والله تعالى أعلم-: فلا تحزن حزنًا شديدًا يهلكك، وذلك كما قال تعالى: ﴿فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ﴾ [فاطر: ٨]، وكما قال: ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٣]. والله أعلم.

❊ ❊ ❊

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحۡزُنكَ كُفۡرُهُۥٓۚ إِلَيۡنَا مَرۡجِعُهُمۡ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ٢٣ نُمَتِّعُهُمۡ قَلِيلٗا ثُمَّ نَضۡطَرُّهُمۡ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٖ ٢٤﴾.

ج: المعنى – والله تعالى أعلم-: ومن استمر على كفره بعد مجيء البينات إليه وإقامة الحجة عليه، وكذا من ارتد عن الإسلام بعد دخوله فيه فلا تحزن على هذا، ولا على ذلك، لا تذهب نفسك عليهم حسرات، لا تنقطع عليهم نفسك ولا تهلكها من أجلهم فإلينا مرجعهم يوم القيامة ومآبهم فنجدهم

بأعمالهم ثم نجازيهم عليها، وكذا نجازيهم على ما أضمرته صدورهم ونفوسهم فالله عليم بدواخلهم وبما يدور في قلوبهم هذا، وإن كانوا مُمْتعين في الدنيا، فإنا قد متعناهم بهذا المتاع الزائل القليل الفاني ثم نُلجؤهم بعده إلى عذاب النار، ذلكم العذاب الشديد الغليظ. وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ومن كفر بالله فلا يحزنك كفره، ولا تذهب نفسك عليهم حسرة، فإنّ مرجعهم ومصيرهم يوم القيامة إلينا، ونحن نخبرهم بأعمالهم الخبيثة التي عملوها في الدنيا، ثم نُجازيهم عليها جزاءهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ يقول: إن الله ذو علم بما تكنه صدورهم من الكفر بالله، وإيثار طاعة الشيطان. وقوله: ﴿نُمَتِّعُهُمۡ قَلِيلٗا﴾ يقول: نمهلهم في هذه الدنيا مهلًا قليلًا يتمتعون فيها ﴿ثُمَّ نَضۡطَرُّهُمۡ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٖ﴾ يقول: ثم نوردهم على كره منهم عذابًا غليظًا، وذلك عذاب النار، نعوذ بالله منها، ومن عمل يقرّب منها.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

﴿وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحۡزُنكَ كُفۡرُهُۥٓ﴾ أي: لا تحزن يا محمد عليهم في كفرهم بالله وبما جئت به؛ فإن قدر الله نافذ فيهم، وإلى الله مرجعهم فينبئهم بما عملوا، أي: فيجزيهم عليه، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ ، فلا تخفى عليه خافية.

ثم قال: ﴿نُمَتِّعُهُمۡ قَلِيلٗا﴾ أي: في الدنيا ، ﴿ثُمَّ نَضۡطَرُّهُمۡ﴾ أي: نلجئهم ﴿إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٖ﴾ أي: فظيع صعب شاقٌّ على النفوس، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ لَا يُفۡلِحُونَ ۝٦٩ مَتَٰعٞ فِي ٱلدُّنۡيَا ثُمَّ إِلَيۡنَا مَرۡجِعُهُمۡ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلۡعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُواْ يَكۡفُرُونَ﴾ [يونس: ٦٩، ٧٠].

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾﴾.

ج: المعنى – والله أعلم –: ولئن سألت أهل الشرك هؤلاء يا رسول الله من خلق السموات والأرض ليقولن الله الذي خلقهن، فقل لهم: الحمد لله على إقراركم واعترافكم بأن خالقها هو الله، فكيف تدعون إذن أن الله معه آلهة أخرى فحقًّا إن أكثرهم قومٌ لا يعلمون ما يضرهم وما ينفعهم.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ولئن سألت يا محمد هؤلاء المشركين بالله من قومك ﴿مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد، فإذا قالوا ذلك، فقل لهم: الحمد لله الذي خلق ذلك، لا لمن لا يخلق شيئًا وهم يُخلقون، ثم قال تعالى ذكره: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ يقول: بل أكثر هؤلاء المشركون لا يعلمون من الذي له الحمد، وأين موضع الشكر.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى مخبرًا عن هؤلاء المشركين به: إنهم يعرفون أن الله خالقُ السموات والأرض، وحدَه لا شريك له، ومع هذا يعبدون معه شركاء يعترفون أنها خَلْقٌ له وملك له؛ ولهذا قال: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ [أي: إذْ قامت عليكم الحجة باعترافكم]، ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ أي: هم

يعترفون أن الله خالقهن فلم يعبدوا غيره ﴿قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ﴾ أي: على ما هدانا له من دينه وليس الحمد لغيره ﴿بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ أي: ينظرون ولا يتدبرون.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ٢٦﴾.

ج: المعنى – والله تعالى أعلم –: لله ملك السموات والأرض يفعل فيهما ما يشاء ويتصرف فيهما كيفما يريد أن الله هو الغني عن خَلْقه، فكل شيء ملك له، وهو المحمود على نعمه التي يُنعم بها على خَلْقه.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ يقول تعالى ذكره: لله كلّ ما في السموات والأرض من شيء ملكًا كائنًا ما كان ذلك الشيء من وثن وصنم وغير ذلك، مما يعبد أو لا يعبد ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ﴾ يقول: إن الله هو الغنيّ عن عباده هؤلاء المشركين به الأوثان والأنداد، وغير ذلك منهم ومن جميع خلقه؛ لأنهم ملكه وله، وبهم الحاجة إليه، الحميد: يعني: المحمود على نعمه التي أنعمها على خَلْقه.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم قال: ﴿لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ أي: هو خلقه وملكه، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ﴾ أي: الغني عما سواه، وكل شيء فقير إليه، الحميد في جميع ما خلق، له الحمد في السموات والأرض على ما خلق وشرع، وهو المحمود في الأمور كلها.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي ملكًا وخلقًا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ﴾ أي الغني عن خلقه وعن عبادتهم وإنما أمرهم لينفعهم ﴿ٱلْحَمِيدُ﴾ أي: المحمود على صنعه.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٧)﴾.

ج: المعنى -والله تعالى أعلم-: ولو أن أشجار الأرض كلها جُعلت أقلامًا وتحوَّلت إلى أقلام، وكان البحر كله مدادًا (أي حِبرًا) تُملأ به تلك الأقلام كي تكتب، وأُضيف إلى البحر سبعة أبحرٍ أخرى تكون مدادًا أيضًا (أي تكون حِبرًا) لنفد المداد كله، لنفدت الأبحر كلها ولم تنته كلمات ربي التي هي أقواله وأوامره ونواهيه وتذكيره والآية في معناها قوله تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾ [الكهف: ١٠٩]، وبنحو ما ذكرت قال أهل التأويل.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ولو أن شجر الأرض كلها بُريت أقلامًا ﴿وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ﴾ يقول: والبحر له مداد، والهاء في قوله: ﴿يَمُدُّهُۥ﴾ عائدة على البحر. وقوله: ﴿مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ﴾ وفي هذا الكلام محذوف استغنى بدلالة الظاهر عليه منه، وهو يكتب كلام الله بتلك الأقلام وبذلك المداد، لتكسرت تلك الأقلام، ولنفد ذلك المداد، ولم تنفد كلمات الله.

وأورد بإسناد صحيح: عن أبي رجاء، قال: سألت الحسن عن هذه الآية: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ﴾ قال: لو جعل شجر الأرض أقلامًا، وجعل البحور مدادًا، وقال الله: إن من أمري كذا، ومن أمري كذا، لنفد ماء البحور،

وتكسَّرت الأقلام.

وأورد بإسناد حسن: عن قتادة قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾ قال: قال المشركون[1]: إنما هذا كلام يوشك أن ينفد، قال: لو كان شجر البرّ أقلامًا، ومع البحر سبعة أبحر ما كان لتنفد عجائب ربي وحكمته وخَلْقه وعلمه.

وأورد الطبري سبب نزول للآية الكريمة لكن بإسنادٍ ضعيف.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى مخبرًا عن عظمته وكبريائه وجلاله، وأسمائه الحسنى وصفاته العلا وكلماته التامة التي لا يحيط بها أحد، ولا اطلاع لبشر على كنهها وإحصائها، كما قال سيد البشر وخاتم الرسل: «**لا أحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك**»، فقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾ [أي: ولو أن جميع أشجار الأرض جُعلت أقلامًا، وجعل البحر مدادًا ومَده سبعة أبحر] معه، فكتبت بها كلمات الله الدالة على عظمته وصفاته وجلاله لتكسرت الأقلام، ونَفَدَ ماء البحر، ولو جاء أمثالها مَدَدًا.

وإنما ذكرت «السبعة» على وجه المبالغة، ولم يرد الحصر ولا [أن] ثم سبعة أبحر موجودة تحيط بالعالم، كما يقوله من تلقاه من كلام الإسرائيليين التي لا تصدق ولا تكذب، بل كما قال تعالى في الآية الأخرى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ [الكهف: ١٠٩]، فليس المراد بقوله: ﴿بِمِثْلِهِ﴾ آخر فقط، بل بمثله ثم بمثله ثم بمثله، ثم هلم جرا؛ لأنه

(١) وليس هذا بسبب نزول مسند إنما هو تفسير من قتادة للآية.

لا حصر لآيات الله وكلماته.

وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ أي: عزيز قد عَز كلَّ شيء وقهره وغلبه، فلا مانع لما أراد ولا مخالف ولا معقب لحكمه، ﴿حَكِيمٌ﴾ في خلقه وأمره، وأقواله وأفعاله، وشرعه وجميع شؤونه.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾﴾.

ج: المعنى – والله أعلم –: ما خلقكم يا بني آدم ولا بعثكم يوم القيامة إلا كخَلْق نفس واحدة وبعث نفس واحدةٍ، وكل ذلك سهلٌ وهينٌ على الله ﷻ فإنما أمره إذا أراد شيئًا أن يقول له كن فيكون إن الله سميع لأقوال بني آدم، وسميع لكل شيء وبصير بكل شيء.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ما خلقكم أيها الناس ولا بعثكم على الله إلا كخلق نفس واحدة وبعثها، وذلك أن الله لا يتعذّر عليه شيء أراده، ولا يمتنع منه شيء شاءه ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢] فسواء خلق واحد وبعثه، وخلق الجميع وبعثهم.

وأورد بإسناد حسن: عن قَتادة قوله: ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ قال: يقول: إنما خلق الله الناس كلهم وبعثهم كخلق نفس واحدة وبعثها.

ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وإنما صلح أن يقال: إلا كنفس واحدة، والمعنى: إلا كخلق نفس واحدة؛

لأن المحذوف فعل يدلّ عليه قوله: ﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ ﴾ والعرب تفعل ذلك في المصادر ، ومنه قول الله : ﴿ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ ﴾ [الأحزاب: ١٩] والمعنى: كدوران عين الذي يغشى عليه من الموت، فلم يذكر الدوران والعين لما وصفت.

وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ يقول تعالى ذكره: إن الله سميع لما يقول هؤلاء المشركون ويفترونه على ربهم، من ادّعائهم له الشركاء والأنداد وغير ذلك من كلامهم وكلام غيرهم، بصير بما يعملونه وغيرهم من الأعمال، وهو مجازيهم على ذلك جزاءهم.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

وقوله: ﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾ أي: ما خَلْقُ جميع الناس وبعثهم يوم المعاد بالنسبة إلى قدرته إلا كنسبة [خلق] نفس واحدة، الجميع هين عليه و ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ [يس: ٨٢]، ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴾ [القمر: ٥٠] أي: لا يأمر بالشيء إلا مرة واحدة، فيكون ذلك الشيء لا يحتاج إلى تكرره وتوكده. ﴿فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ﴾ [النازعات: ١٣، ١٤].

وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ أي: كما هو سميع لأقوالهم بصير بأفعالهم كسمعه وبصره بالنسبة إلى نفس واحدة كذلك قدرته عليهم كقدرته على نفس واحدة؛ ولهذا قال: ﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ .

❁ ❁ ❁

قَالَ ٱللَّهِ تَعَالَىٰ:

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ
وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (٢٩) ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ
هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ (٣٠) أَلَمْ تَرَ أَنَّ
ٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ
صَبَّارٍ شَكُورٍ (٣١) وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا
نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ
(٣٢) يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ
هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا
وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ (٣٣) إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ
وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ
أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ (٣٤)﴾ [لقمان: ٢٩-٣٤].

س: اذكر معنى ما يلي:

﴿يُولِجُ – أَجَلٍ مُّسَمًّى – ٱلْبَٰطِلُ – ٱلْفُلْكَ – بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ – ءَايَٰتِهِۦٓ – صَبَّارٍ – شَكُورٍ – غَشِيَهُم – كَٱلظُّلَلِ – مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ – مُّقْتَصِدٌ – يَجْحَدُ – خَتَّارٍ – ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ – فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ – ٱلْغَرُورُ﴾؟

ج:

الكلمة	معناها
﴿يُولِجُ﴾	يُدخل
﴿أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾	زمن محدد معلوم
﴿ٱلْبَٰطِلُ﴾	الذاهب الذي لا بقاء له ولا حقيقة له
﴿ٱلْفُلْكَ﴾	السفن العظيمة الهائلة
﴿بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ﴾	تيسير الله – بفضل من الله
﴿ءَايَٰتِهِۦٓ﴾	من أدلته التي يسوقها لبيان قدرته
﴿صَبَّارٍ﴾	كثير الصبر (في الضراء)
﴿شَكُورٍ﴾	كثير الشكر والرضا والحمد (في السراء)
﴿غَشِيَهُم﴾	حلَّ بهم ونزل بهم وخرج بهم عن الذي هم فيه
﴿كَٱلظُّلَلِ﴾	كالسحاب الذي يُظل
﴿مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾	مفردين له العبودية والدعاء، لا تدعون معه غيره
﴿مُّقْتَصِدٌ﴾	متوسط (في الشكر)- غير شاكر
﴿يَجْحَدُ﴾	يكفر

﴿خَتَّارٍ﴾	غدَّار
﴿ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ﴾	اجعلوا بينكم وبين عذابه وقاية
﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ﴾	فلا تخدعنكم ولا تصرفنكم
﴿ٱلْغَرُورُ﴾	الشيطان

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾﴾؟

ج: المعنى –والله تعالى أعلم–: يدخل الليل في النهار فتطول ساعات الليل وتقصر ساعات النهار ويدخل النهار في الليل فتطول ساعات النهار وسخر الشمس والقمر، كلٌّ يجري إلى أجل قدَّره الله ﷻ، وحدّده، وأن الله بما تعملون خبير، خبيرٌ بما يصنعه العباد من خيرٍ أو شرٍّ.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ يا محمد بعينك ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ﴾ يقول: يزيد من نقصان ساعات الليل في ساعات النهار ﴿وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ﴾ يقول: يزيد ما نقص من ساعات النهار في ساعات اللَّيل.

وأورد بإسناد حسن: عن قَتادة قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ﴾ نقصان الليل في زيادة النهار ﴿وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ﴾ نقصان النهار في زيادة الليل.

وقوله: ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ يقول تعالى ذكر: وسخر الشمس والقمر لمصالح خَلْقه ومنافعهم، ﴿كُلٌّ يَجْرِىٓ﴾ يقول: كلّ ذلك يجري

بأمره إلى وقت معلوم، وأجل محدود إذا بلغه كوّرت الشمس والقمر.

وأورد بإسناد حسن: عن قتادة قوله: ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى﴾ يقول: لذلك كله وقت وحدٌّ معلوم، لا يجاوزه ولا يعدوه.

وقوله: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ﴾ يقول: وإن الله بأعمالكم أيها الناس من خير أو شرّ ذو خبرة وعلم، لا يخفى عليه منها شيء، وهو مجازيكم على جميع ذلك، وخرج هذا الكلام خطابًا لرسول الله ﷺ، والمعنيّ به المشركون، وذلك أنه تعالى ذكره: نبه بقوله: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ﴾ على موضع حجته من جهل عظمته، وأشرك في عبادته معه غيره، يدلّ على ذلك قوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِ ٱلۡبَٰطِلُ﴾.

❀ ❀ ❀

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِ ٱلۡبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ٣٠﴾.

ج: المعنى – والله أعلم-: ذلك الذي ذكره الله لكم من إيلاج الليل في النهار، وإيلاج النهار في الليل كي تستدلوا على وحدانية الله ولتعلموا أن الله ﷻ إله واحد حقًّا، وأن ما سواه من الآلهة، آلهة باطلة لا تملك لنفسها فضلًا عن غيرها ضرًّا ولا نفعًا، وأن الله هو العلي الكبير.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: هذا الذي أخبرتك يا محمد أن الله فعله من إيلاجه الليل في النهار، والنهار في الليل، وغير ذلك من عظيم قُدرته، إنما فعله بأنه الله حقًّا، دون ما يدعوه هؤلاء المشركون به، وأنه لا يقدر على فعل ذلك سواه، ولا

تصلح الألوهة إلا لمن فعل ذلك بقُدرته.

وقوله: ﴿وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ﴾ يقول تعالى ذكره: وبأن الذي يعبد هؤلاء المشركون من دون الله الباطل الذي يضمحلّ، فيبيد ويفنى ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ يقول تعالى ذكره: وبأن الله هو العليُّ، يقول: ذو العلوّ على كلّ شيء، وكل ما دونه فله متذلل منقاد، الكبير الذي كل شيء دونه، فله متصاغر.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يخبر تعالى أنه ﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ﴾ بمعنى: يأخذ منه في النهار، فيطول ذلك ويقصر هذا، وهذا يكون زمن الصيف يطول النهار إلى الغاية، ثم يسرع في النقص فيطول الليل ويقصر النهار، وهذا يكون في الشتاء، ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ قيل: إلى غاية محدودة. وقيل: إلى يوم القيامة. وكلا المعنيين صحيح، ويستشهد للقول الأول بحديث أبي ذر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ الذي في الصحيحين: أن رسول الله ﷺ قال: «**يا أبا ذر! أتدري أين تذهب هذه الشمس؟**». قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «**فإنها تذهب فتسجد تحت العرش، ثم تستأذن ربَّها فيوشك أن يقال لها: ارجعي من حيث جئت**»[(١)].

وقال:

وقوله: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾، كقوله: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الحج: ٧٠]. ومعنى هذا: أنه تعالى الخالق العالم بجميع الأشياء، كقوله: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا﴾ [الطلاق: ١٢].

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

---

(١) البخاري (٣١٩٩)، ومسلم (١٥٩).

وقولـه: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ﴾ أي: إنما يظهر لكم آياته لتستدلوا بها على أنه الحق، أي: الموجود الحق، الإله الحق، وأن كل ما سواه باطل فإنه الغني عما سواه، وكل شيء فقير إليه؛ لأن كل ما في السموات والأرض الجميع خلقه وعبيده، لا يقدر أحد منهم على تحريك ذَرّة إلا بإذنه، ولو اجتمع كل أهل الأرض على أن يخلقوا ذبابًا لعجزوا عن ذلك؛ ولهذا قال: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ أي: العلي: الذي لا أعلى منه، الكبير: الذي هو أكبر من كل شيء، فكل شيء خاضع حقير بالنسبة إليه.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣١﴾﴾.

ج: المعنى -والله أعلم-: ألم تر وتستدل برؤيتك على وحدانية الله، ألم تر أن هذه السفن الهائلة العظيمة تجري في البحر بتيسير الله ﷻ لها، إن في جريانها في البحر وتسييرها لدلالات على وحدانية الله يستدل بها كل صبار كثير الصبر على طاعة الله والاستقامة على أمره، شكور كثير الشكر لله على نعمائه.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ألم تر يا محمد أن السفن تجري في البحر نعمة من الله على خَلْقه ﴿لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ﴾ يقول: ليريكم من عبره وحُججه عليكم ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ يقول: إن في جري الفلك في البحر دلالة على أن الله الذي أجراها هو الحقّ، وأنّ ما يدعون من دونه الباطل ﴿لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ يقول: لكلّ من صبر نفسه عن محارم الله، وشكره على

نعمه فلم يكفره.

إن قال قائل: وكيف خصّ هذه الدلالة بأنها دلالة للصبَّار الشَّكور دون سائر الخلق؟ قيل: لأنّ الصبر والشكر من أفعال ذوي الحِجى والعقول، فأخبر أن في ذلك لآيات لكلّ ذي عقل؛ لأن الآيات جعلها الله عِبراً لذوي العقول والتمييز.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

يخبر تعالى أنه هو الذي سَخَّر البحر لتجري فيه الفلك بأمره، أي: بلطفه وتسخيره؛ فإنه لولا ما جعل في الماء من قوة يحمل بها السفن لما جرت؛ ولهذا قال: ﴿لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ﴾ أي: من قدرته، ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ أي: صبار في الضراء، شكور في الرخاء.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿٣٢﴾﴾.

ج: المعنى – والله تعالى أعلم-: وإذا حلَّ بهؤلاء المشركين، وهم على الفلك في البحر موجٌ كالسحاب الأسود المخيف من كثرته دعوا الله مفردين إياه بالدعاء والعبادة، ولم يسألوا أحدًا سواه، دعوه لينجيهم مما هم فيه فلما أنجاهم مما هم فيه وسلمهم وحفظهم فمنهم مقتصد، وقد قيل في المقتصد: إنه المقتصد (يعني: المتوسط) في تأدية ما عليه من شكر النعم، أنه لم يؤد شكر النعم حق الأداء بل كان متوسطًا في ذلك، ومن العلماء من قال: إن المقتصد هو الكافر، ومعنى مقتصد هاهنا: أنه مقتصد في توحيد ربِّه ليس بموحدٍ خالص التوحيد إنما قد شاب توحيده شركٌ بالله، وما يجحد بآيات الله

وقدرته إلا كل غدَّار كثير الغدر وعدم الوفاء جحود لنعم الله عليه منكرٌ لها وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: وإذا غشى هؤلاء الذين يدعون من دون الله الآلهة والأوثان في البحر -إذا ركبوا في الفُلك- موج كالظُّلل، وهي جمع ظُلَّة، شبَّه بها الموج في شدة سواد كثرة الماء، قال نابغة بني جعدة في صفة بحر:

يُماشِيهِنَّ أَخْضَرُ ذُو ظِلال ... عَلى حافاتِهِ فِلَقُ الدِّنانِ

وشبه الموج وهو واحد بالظلل، وهي جماع؛ لأن الموج يأتي شيء منه بعد شيء، ويركب بعضه بعضًا كهيئة الظلل. وقوله: ﴿دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ يقول تعالى ذكره: وإذا غشي هؤلاء موج كالظلل، فخافوا الغرق، فزعوا إلى الله بالدعاء مخلصين له الطاعة، لا يشركون به هنالك شيئًا، ولا يدعون معه أحدًا سواه، ولا يستغيثون بغيره. قوله: ﴿فَلَمَّا نَجَّىٰهُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ﴾ مما كانوا يخافونه في البحر من الغرق والهلاك إلى البرِّ. ﴿فَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞۚ﴾ يقول: فمنهم مقتصد في قوله وإقراره بربه، وهو مع ذلك مضمر الكفر به.

وأورد بإسناد صحيح عن ابن زيد: في قوله: ﴿فَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞۚ﴾ قال: المقتصد الذي على صلاح من الأمر.

وقوله: ﴿وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٖ كَفُورٖ﴾ يقول تعالى ذكره: وما يكفر بأدلتنا وحُججنا إلا كلُّ غدَّار بعهده، والختر عند العرب: أقبح الغدر، ومنه قول عمرو بن معد يكرب:

وَإِنَّكَ لَوْ رأَيْتَ أبا عُمَيْرٍ ... مَلأتَ يَدَيْكَ مِنْ غَدْرٍ وَخَتْرٍ

وقوله: ﴿كَفُورٍ﴾ يعني: جحودًا للنعم، غير شاكر ما أسدى إليه من نعمة.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

ثم قال: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ﴾ أي: كالجبال والغمام، ﴿دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٦٧]، وقال: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [العنكبوت: ٦٥].

ثم قال: ﴿فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ﴾ قال مجاهد: أي كافر. كأنه فسر المقتصد هاهنا بالجاحد، كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٥].

وقال ابن زيد: هو المتوسط في العمل.

وهذا الذي قاله ابن زيد هو المراد في قوله: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾ [فاطر: ٣٢]، فالمقتصد هاهنا هو: المتوسط في العمل. ويحتمل أن يكون مرادًا هنا أيضًا، ويكون من باب الإنكار على من شاهد تلك الأهوال والأمور العظام والآيات الباهرات في البحر، ثم بعدما أنعم عليه من الخلاص، كان ينبغي أن يقابل ذلك بالعمل التام، والدؤوب في العبادة، والمبادرة إلى الخيرات. فمن اقتصد بعد ذلك كان مقصرًا والحالة هذه، والله أعلم.

وقوله: ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾: فالختار: هو الغدَّار. قاله مجاهد، والحسن، وقتادة، ومالك عن زيد بن أسلم، وهو الذي كلما عاهد نقض عهده، والخَتْر: أتَم الغدر وأبلغه، قال عمرو بن معد يكرب:

وَإِنَّكَ لَوْ رَأَيْتَ أَبَا عُمَيْرٍ ... مَلأتَ يَدَيْكَ مِنْ غَدْرٍ وَخَتْرِ

وقوله: ﴿كَفُورٍ﴾ أي: جحود للنعم لا يشكرها، بل يتناساها ولا يذكرها.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡ وَٱخۡشَوۡاْ يَوۡمٗا لَّا يَجۡزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوۡلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ٣٣﴾.

ج: المراد - والله تعالى أعلم-: أن الله ﷻ يحذر عباده يومًا ينفرد كلٌّ بعمله ولا يحمل أحدٌ فيه ذنوب غيره – إلا من أضل قومًا فإنه يحمل أيضًا إثم إضلالهم من غير أن ينقص من آثامهم شيئًا، فلا يغني والدٌ عن ولده، ولا مولود عن والده شيئًا فيقول تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ لمسلمهم وكافرهم، ﴿ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡ﴾ اجعلوا بينكم وبين عذاب الله وقاية وتلك الوقاية أعظمها توحيدكم وإفراد ربكم بعبادتكم وثَمَّ وقايات أخر كالصلاة والصيام والصدقة وغير ذلك من سائر الوقايات ﴿وَٱخۡشَوۡاْ يَوۡمٗا﴾ واحذروا يوم القيامة وما فيه من العذاب والأهوال، واعلموا في هذا اليوم لا يغني والد عن ولده، ولا مولود عن والده بل كل يحمل ذنوب نفسه كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۚ وَإِن تَدۡعُ مُثۡقَلَةٌ إِلَىٰ حِمۡلِهَا لَا يُحۡمَلۡ مِنۡهُ شَيۡءٞ وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰٓۗ﴾ ثم يُذكر ربنا بأنه وعده متحقق لا ريب فيه ولا شك فيقول: ﴿إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ﴾ ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ﴾ فلا تخدعنكم الحياة الدنيا بزينتها وبهجتها وزخرفها ولا يخدعنكم بالله الشيطان، فيحملكم على ارتكاب المحرمات، ويسوِّف لكم في التوبة ويمنعكم منها ويؤخركم عنها.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: أيها المشركون من قريش، اتقوا الله، وخافوا أن يحلَّ بكم سخطه في يوم لا يغني والد عن ولده، ولا مولود هو مغنٍ عن والده شيئًا؛

لأن الأمر يصير هنالك بيد من لا يغالب، ولا تنفع عنده الشفاعة والوسائل، إلا وسيلة من صالح الأعمال التي أسلفها في الدنيا. وقوله: ﴿إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ﴾ يقول: اعلموا أن مجيء هذا اليوم حقٌّ، وذلك أن الله قد وعد عباده ولا خلف لوعده ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا﴾ يقول: فلا تخدعنكم زينة الحياة الدنيا ولذَّاتها، فتميلوا إليها، وتدعوا الاستعداد لما فيه خلاصكم من عقاب الله ذلك اليوم. وقوله: ﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ﴾ يقول: ولا يخدعنَّكم بالله خادع. والغَرور بفتح الغين: هو ما غرّ الإنسان من شيء كائنًا ما كان شيطانًا كان أو إنسانًا، أو دنيا، وأما الغُرور بضم الغين: فهو مصدر من قول القائل: غررته غُرورًا.

وأورد الطبري آثارًا عن عدد من التابعين مفادها أن الغرور هو الشيطان.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى منذرًا للناس يوم المعاد، وآمرًا لهم بتقواه والخوف منه، والخشية من يوم القيامة حيث ﴿لَّا يَجۡزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ﴾ أي: لو أراد أن يفديه بنفسه لما قُبِلَ منه. وكذلك الولد لو أراد فداء والده بنفسه لم يتقبل منه.

ثم عاد بالموعظة عليهم بقوله: ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا﴾ [أي: لا تلهينكم بالطمأنينة فيها عن الدار الآخرة]. ﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ﴾ يعني: الشيطان. قاله ابن عباس، ومجاهد، والضحاك، وقتادة. فإنه يغر ابن آدم ويَعِدُهُ ويُمنيه، وليس من ذلك شيء بل كما قال تعالى: ﴿يَعِدُهُمۡ وَيُمَنِّيهِمۡۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [النساء: ١٢٠].

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡ﴾ يعني: الكافر والمؤمن أي: خافوه

ووحـــدوه ﴿وَٱخۡشَوۡاْ يَوۡمٗا لَّا يَجۡزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوۡلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيۡـًٔاۚ﴾ تقـــدم معنى يجزي في البقرة وغيرهما فإن قيل : قال النبي ﷺ : «**من مات له ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث لم تمسه النار إلا تحلة القسم**» وقـال : «**مـن ابتلي بشـيء من هذه البنات فأحسن إليهن كن له حجابًا من النار**».

وقيل له : المعنى بهذه الآية: أنه لا يحمل والد ذنب ولده ولا مولـود ذنـب والده ولا يؤاخذ أحدهما عن الآخر والمعني بالأخبار أن ثـواب الصبر على الموت والإحسان إلى البنات يحجب العبد عـن النار ويكـون الولـد سـابقًا لـه إلـى الجنـة ﴿إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ﴾ أي: البعـث ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ﴾ أي: تخـدعنكم ﴿ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا﴾ بزينتهـا ومـا تـدعو إليـه فتتكلـوا عليهـا وتركنـوا إليهـا وتتركـوا العمل للآخرة ﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ﴾ قراءة العامة هنا وفي سـورة الملائكـة والحديد بفتح الغين وهو الشيطان في قول مجاهد وغيره وهو الذي يغرُّ الخلـق ويُمنيـهم الـدنيا ويُليهـيهم عـن الآخـرة وفي سـورة النسـاء : ﴿يَعِدُهُمۡ وَيُمَنِّيهِمۡۖ﴾ [النساء : ١٢٠].

❁ ❁ ❁

س: كيـف يفهـم قولـه تعـالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ ...﴾ مع ما اكتشف الآن من إمكانية معرفة الجنين بعد نفخ الروح فيه هـل هو ذكر أم أنثى؟

ج: ليس معنى كون البشر علمـوا مـا في الأرحـام هـل هـو ذكـر أم أنثـى أنهـم أحاطوا بمعرفة كلِّ ما في الأرحام بل هناك أشياء وأحوال في الأرحام لا يعلمهـا إلا الله، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

استئثار الله ﷻ بعلم الغيب

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرُۢ ٣٤﴾.

ج: المعنى – والله أعلم –: مرتبطٌ بما قبله ففي الآية التي قبله حذَّر الله سبحانه وتعالى من يوم القيامة، وهنا بيَّن سبحانه وتعالى أنه لا يعلم حتى مجيء هذا اليوم إلا الله سبحانه وتعالى حتى يجدَّ المجدون في العمل ويحذر الحذرون، فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ أي: العلم بيوم القيامة متى يكون؟ فقد استأثر الله بعلم ذلك، وكذا فلا يعلم متى ينزل الغيث إلا الله، ويعلم ما في الأرحام بعمومه وتفاصيله وكل جزئياته، ويعلم ما سيكون في غدٍ، وماذا ستكسب الأنفس في غدٍ، وفي المستقبل عمومًا، وكذلك يعلم أين تموت الأنفس وأين تُقبض، قد علم ربي كل ذلك واستأثر بعلمه فلا يعلم أحدٌ شيئًا من هذه الخمس، وبنحو ذلك قال العلماء.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡ وَٱخۡشَوۡاْ يَوۡمٗا لَّا يَجۡزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوۡلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيۡـًٔا﴾ هو آتيكم؛ علم إتيانه إياكم عند ربكم، لا يعلم أحد متى هو جائيكم، لا يأتيكم إلا بغتة، فاتقوه أن يفجأكم بغتة، وأنتم على ضلالتكم لم تنيبوا منها، فتصيروا من عذاب الله وعقابه إلى ما لا قبل لكم به. وابتدأ تعالى ذكره الخبر عن علمه بمجيء الساعة. والمعنى: ما ذكرت لدلالة

الكلام على المراد منه، فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ التي تقوم فيها القيامة، لا يعلم ذلك أحد غيره ﴿وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ﴾ من السماء، لا يقدر على ذلك أحد غيره، ﴿وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ﴾ أرحام الإناث ﴿وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ﴾ يقول: وما تعلم نفس حيٍّ ماذا تعمل في غد، ﴿وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ﴾ يقول: وما تعلم نفس حي بأي أرض تكون منيتها ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرُۢ﴾ يقول: إن الذي يعلم ذلك كله هو الله دون كل أحد سواه، إنه ذو علم بكل شيء، لا يخفى عليه شيء، خبير بما هو كائن، وما قد كان.

وأورد الطبري بإسناد حسن: عن قَتادة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ...﴾ الآية، أشياء من الغيب، استأثر الله بهن، فلم يطلع عليهن ملَكًا مقرّبًا، ولا نبيًّا مرسلًا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ فلا يدري أحد من الناس متى تقوم الساعة، في أي سنة، أو في أي شهر، أو ليل، أو نهار ﴿وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ﴾ فلا يعلم أحد متى ينزل الغيث، ليلًا أو نهارًا ينزل؟ ﴿وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ﴾ فلا يعلم أحد ما في الأرحام، أذكر أو أنثى، أحمر أو أسود، أو ما هو؟ ﴿وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ﴾ خير أم شرّ، ولا تدري يا ابن آدم متى تموت؟ لعلك الميت غدًا، لعلك المصاب غدًا ﴿وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ﴾ ليس أحد من الناس يدري أين مضجعه من الأرض في بحر أو بر أو سهل أو جبل، تعالى وتبارك.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ**:**

هذه مفاتيح الغيب التي استأثر الله تعالى بعلمها، فلا يعلمها أحد إلا بعد إعلامه تعالى بها؛ فعِلْمُ وقت الساعة لا يعلمه نبيٌّ مرسل ولا ملك مقرب، ﴿لَا يُجَلِّيهَا لِوَقۡتِهَآ إِلَّا هُوَۚ﴾ [الأعراف: ١٨٧]، وكذلك إنزال الغيث لا يعلمه إلا الله، ولكن إذا أمر به علمته الملائكة الموكلون بذلك ومَنْ شاء الله من خَلْقه. وكذلك لا

يعلم ما في الأرحام مما يريد أن يخلقه [الله] تعالى سواه، ولكن إذا أمر بكونه ذكرًا أو أنثى، أو شقيًّا أو سعيدًا علم الملائكة الموكلون بذلك، ومَنْ شاء الله من خَلْقه. وكذلك لا تدري نفس ماذا تكسب غدًا في دنياها وأخراها، ﴿وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ﴾ في بلدها أو غيره من أي بلاد الله كان، لا علم لأحد بذلك. وهذه شبيهة بقوله تعالى: ﴿۞وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ﴾ الآية [الأنعام: ٥٩]. وقد وردت السُّنة بتسمية هذه الخمس: مفاتيح الغيب.

وأورد رحمه الله تعالى جملة من الأحاديث في هذا الصدد منها ما أخرجه الإمام أحمد بسند صحيح[١] عن بريدة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**خمس لا يعلمهن إلا الله** ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرُۢ﴾».

وما أخرجه أحمد والبخاري[٢] من حديث ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «**مفاتيح الغيب خمس لا يعلمهن إلا الله**: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرُۢ﴾».

وأورد أيضًا ما أخرجه البخاري[٣] عند تفسير هذه الآية من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يومًا بارزًا للناس؛ إذ أتاه رجل يمشي، فقال: يا رسول الله! ما الإيمان؟ قال: «**الإيمان: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله**

---

(١) المسند (٥/ ٣٥٣).
(٢) أحمد (٢/ ٢٤)، والبخاري (١٠٣٩).
(٣) البخاري (٤٧٧٧)، ومسلم (حديث ٩).

ولقائه، وتؤمن بالبعث الآخر». قال: يا رسول الله ما الإسلام؟ قال: «**الإسلام: أن تعبد الله ولا تشرك به شيئًا، وتُقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان**». فقال: يا رسول الله! ما الإحسان؟ قال: «**الإحسان: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك**». قال: يا رسول الله، متى الساعة؟ قال: «**ما المسؤول عنها بأعلم من السائل، ولكن سأحدثك عن أشراطها: إذا ولدت الأمَةُ رَبَّتَهَا، فذاك من أشراطها. وإذا كان الحفاة العُرَاة رؤوس الناس، فذاك من أشراطها، في خمس لا يعلمهن إلا الله**. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ﴾ ، ثم انصرف الرجل فقال: «**ردُّوه عَلَيَّ**». فأخذوا ليردوه، فلم يروا شيئًا، فقال: «**هذا جبريل، جاء ليُعلِّم الناس دينهم**».

وأورد رحمه الله عدة أحاديث في هذا الصدد.

❀ ❀ ❀